

الصوم حياة

قطوف إيمانية عملية
تسوقك إلى الله



دكتور

شريف فوزي سلطان



الصَّوْمُ حَيَاةٌ
قُطُوفُ إِيمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

كُلُّ الْحَقُوقِ
مُحْفَظَةٌ

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو
أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت
إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير وغير ذلك
دون حصول على إذن خطي من المؤلف والناشر.

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

www.alukah.net

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

♥ @DarElollaa

☑ Dar_Elollaa@hotmail.com

• الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر

• 01050144505 - 0225117747

• المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر

• 01007868983 - 0502357979

الصَّوْمُ حَيَاةٌ
قُطُوفُ إِيمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

شبكة

الألمكة

دكتور

www.شبكةالألمكة.net
شريف فوزي سلطان

عفا الله عنه بيمينه وكرمه

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع
الحيوية - مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهلاً

إلى والدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ

إلى والدتي حفظها الله وغفر لها

إلى شقيقة الروح أم المقدام، رفع الله درجاتها في عليين

إلى قرّة عيني، إلى بسمتي التي رُسمت على وجهي، ابنتي الغالية:

مروة

إلى صديقي الصدوق وصاحبي الأوفى

الشيخ نافع الأودن



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلّ اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه واقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين أما بعد:

ما أمر الله بأمر ولا شرع شرعاً، إلا لنسعد به في حياتنا وننعم به في آخرتنا، وذلك من جملة إنعام الله وفضله.

وحريراً بالمؤمن أن يعلم أنه لا يسعد بشرائع الله ولا ينعم بها ولا يفرح بآثارها إلا إذا قام بروحها ومقصودها، وهذا ما أردت بيانه في هذه الرسالة:

" الصومُ حياة "

كيف نحيا بالصيام؟

كيف ننعم بالصيام؟

كيف نتغير بالصيام؟



كيف نصل إلى الله بالصيام؟

كيف يكون أجمل رمضان؟

كيف يكون رمضان مضمراً للمتسابقين، وميداناً للمتنافسين؟

أسأل الله تعالى بمنه الكبير، وفضله الكريم، أن يبلغنا رمضان
وأن يجعلنا فيه من المقبولين الفائزين...



ولو أرادوا رمضان لأعدوا له عدة

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكْ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: "ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ" ^(١)

○ عبادة النبي ﷺ في شعبان:

النبي ﷺ كان لا يغفل عن الله أبدًا، بل كان دائمًا في عبادة وطاعة، لكن إذا دخل شعبان زاد النبي ﷺ من طاعته وعبادته.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كان رسول الله ﷺ يصوم ولا يُفطر حتى نقول: ما في نفس رسول الله ﷺ أن يُفطر العام ثم يُفطر فلا يصوم حتى نقول: ما في نفسه أن يصوم العام، وكان أحبُّ الصوم إليه في شعبان" ^(٢)

(١) - صحيح سنن النسائي.

(٢) - رواه الطبراني وحسنه الألباني.



ومن كثرة طاعته ﷺ، وعِظَمِ حِرْصِهِ فِي شَعْبَانَ كَانَ أَزْوَاجُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يَذْكُرْنَ أَنَّهُ صَامَ شَعْبَانَ كُلَّهُ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَكْمِلْ صِيَامَ شَهْرِ غَيْرِ رَمَضَانَ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَفْطُرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطٍ إِلَّا شَهْرَ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ" (١)

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ إِلَّا شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ" (٢)

الْحِكْمَةُ مِنْ اِهْتِمَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِشَعْبَانَ حَتَّى اقْتَرَبَ أَنْ يَكُونَ كَرَمَضَانَ:

حُكْمٌ كَثِيرَةٌ أَشْهَرُهَا: مَا تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ الْمَتَّقِمِّ ذَكَرَهُ، وَفِيهِ:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ! فَبَيَّنَ لَهُ السَّبَبَ، فَقَالَ: "ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ

(١) - رواه البخاري ومسلم.

(٢) - رواه الترمذي وحسنه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ



رَجَبٌ وَرَمَضَانٌ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ،
فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ"

هذا الحديث تضمن بيان حكمتين عظيمتين:

الأولى: أنه شهرٌ يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان.

الثانية: أنه شهرٌ ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين.

■ أما كون شعبان تغفل الناس عنه:

قالوا: في هذا دليلٌ على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، وأن ذلك محبوبٌ إلى الله عز وجل، ولذلك كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة، ويقولون: هي ساعة غفلة، وهي قيام ليل، والنبي ﷺ يقول: "إن أفضل الصلاة بعد المفروضة الصلاة في جوف الليل" (١)

ولهذا في ثلث الليل الآخر، الناس يكونون في غفلة شديدة، في نوم عميق، بعد تعب بالنهار وطرفٍ من الليل، الطرقات هادئة، والأجواء ساكنة، فلربما تسمع غطيظًا، السكون عمٌ والسكوت طمٌ، ساعتها ينزل رب العباد جل جلاله، في هذا الوقت العظيم الذي غفل فيه

(١) - رواه مسلم.



أغلب الناس، إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بكماله وجلاله وينادي:
هل من تائب فأتوب عليه هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر
فأغفر له " (١)

وإذا نظرت إلى الفضائل والدرجات التي مُنحت للذاكرين في
وقت غفلة الناس وجدت عجباً.

فتأمل رجلاً دخل السوق فذكر الله، ماذا له من الأجر؟ له من
الأجر العظيم، الذي من عظمته، ربما لا تتخيله! ولكن لأنه ذكر الله
في مكان غفل فيه الناس، ففي الحديث قال ﷺ: " من دخل السوق
فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي
ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير،
كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف
ألف درجة، وبني له بيتاً في الجنة " (٢)

ويؤكد هذا المعنى حوارٌ دار بين طارق بن شهاب وسلمان
الفارس، رضي الله عنهما، بات طارق بن شهاب عند سلمان، لينظر اجتهاده،
قال: فقام يصلي من آخر الليل، فكأنه لم ير الذي كان يظن، فذكر

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه الترمذي وحسنه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١٣

ذلك له، فقال سلمان: حافظوا على هذه الصلوات الخمس، فإنهن كفارات لهذه الجراحات، ما لم تُصَبِّبِ المقتلة، فإذا صلى الناس العشاء صدروا عن ثلاث منازل: منهم من عليه ولا له، ومنهم من له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه.

فرجلٌ اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس، فركب فرسه في المعاصي، فذلك عليه ولا له،

ورجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس، فقام يصلي، فذلك له ولا عليه، ورجلٌ صلى ثم نام فذلك لا له ولا عليه، إياك والحققة وعليك بالقصد وداوم^(١)

الحققة: أن يجتهد في السير ويلح فيه، حتى تعطبَ راحلته أو تقف.

فالأجور المترتبة على الانشغال بالطاعات وقت غفلة الناس كثيرة ومتنوعة فتعرضوا لنفحات الله وتلمسوا مرضاته.

■ وأما كون شعبان تُرفع فيه الأعمال:

فنعمة، والمقصود: أعمال السنة، لأن الأعمال ترفع إلى الله تعالى

(١) - صحيح الترغيب والترهيب.



كل يوم، كما قال ﷺ: " يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل " (١)

وتعرض الأعمال عليه يوم الاثنين والخميس عرضاً مفصلاً، كما قال ﷺ: " تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبُّ أن يعرض عملي وأنا صائم " (٢)

وتعرض عليه في شعبان عرضاً مجملاً، وهذا العرض تتعبد الملائكة به لربها ليباهي بأعمال عباده، وإلا فإن الله غني عن ذلك، فهو سبحانه أعلم بأعمال عباده منهم.

إذن الأعمال تُرفع إلى الله تعالى وتعرض عليه بأسرها في شعبان، ومن هنا نفهم أن شهر رمضان شهر الجوائز، فهل سنفوز بالجائزة؟ إذا أردنا الفوز بجوائز رمضان ونفحاته ورحماته، فلا بد أن نستعد له من الآن.

○ فماذا أفعل في شعبان؟

لأن رمضان ليس عصا سحرية، تحركها يميناً فيرتفع الإيمان في قلبك، وتحركها شمالاً فتنهمر عينك مدراراً بالدموع! أبداً، ولكن

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه الترمذي وصححه الألباني.

رمضان تَجَنِّي فيه ثمرة ما غرست، تحصدُ فيه ثمرة ما زرعت.
 إِنَّ حال كثير من الناس مع رمضان كحال الطالب، يظل يلعب طوال العام، فهل يمكنه أن يدرك ما فاتته أيام الامتحانات؟ لا والله، ولكن الناصح الواعي منهم، يأتي قبل الامتحان بشهر أو شهرين ويصنع لنفسه معسكراً مغلقاً، ويظل يذاكر، ويقول: فَرَطْتُ نعم، ولكن ركزت وتداركت، هذا هو الذي أريدك أن تتعامل به مع الله الآن.

شعبان كالمقدمة لرمضان، يشرع فيه ما يشرع في رمضان، ليحصل الاستعداد والتأهب لتلقّي رمضان، وتعود النفوس على طاعة الرحمن.

قال سلمة بن كُهَيْل: "كان يُقال شهر شعبان شهر القراء" (١)
 وكان عمرو بن قيس إذا دخل شهر شعبان، أغلق حانوته وتفرّغ لقراءة القرآن" (٢)

وقال أبو بكر البلخي: "شهر رجب شهر الزرع، وشهر شعبان

(١) - لطائف المعارف / ابن رجب.

(٢) - السابق.



شهر سقي الزرع وشهر رمضان شهر حصاد الزرع" (١)

وها قد مضى رجب، فما أنت فاعل في شعبان إن كنت تريد رمضان؟ وقد علمت حال نبيك ﷺ، وحال سلفك الصالح في هذا الشهر المبارك، فما هو موقعك أنت من الأعمال والدرجات؟

مضى رجب وما أحسنت فيه وهذا شهر شعبان المبارك
فيا من ضيَّع الأوقات جهلاً بحرمتها أفق واحذر بَوَارِك
فسوف تفارق اللذات قهراً ويُخلي الموت قهراً منك دارك
تدارك ما استطعت من الخطايا بتوبة مخلص واجعل مدارك
على طلب السلامة من جحيم فخير ذوي الجرائم من تدارك
○ يومك في شعبان:

أولاً: صَفِّ قلبك، واحرص على سلامة صدرك:

عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: " يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا مشرك أو مشاحن" (٢)
والشحناء: حقد المسلم على أخيه بغضاً له لهوى في نفسه - لا

(١) - لطائف المعارف / ابن رجب.

(٢) - رواه الطبراني وابن حبان وحسنه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٧

لغرض شرعي ومندوحة دينية - فهي تمنع المغفرة وتحجب الرحمة.
وقال ﷺ: " إذا كانت ليلة النصف من شعبان، اطلع الله إلى
جميع خلقه فيغفر للمؤمنين ويُملي للكافرين ويدعُ أهل الحقد
بحقدهم حتى يدعوه ". (١)

ثانياً: جدّد توبتك إلى ربك:

واحذر أن تدخل رمضان بصحيفتك مملوءة بالذنوب، معاصي
السّر والعلن، تخلص منها الآن، ليُفتح لك في رمضان.
ثالثاً: أصلح صلاتك:

جاهد نفسك من الآن على إصلاح صلاتك، بإسباغ وضوئها،
والحرص على أوقاتها وجماعاتها، والإقبال على الله فيها بخشوعها
وخضوعها.

فإنها إذا صلحت صلح عملك كله، فصلح لك رمضان كله بإذن
الله، فالصلاة الصحيحة كافية وكفيلة لتغيير كل شيء في حياتك.

رابعاً: تمرّن على الصيام، وأكثر منه:

اقتداءً بنبيك ﷺ، وعملاً بوصيته حين قال: " عليك بالصوم،

(١) - أخرجه الطبراني وغيره وحسنه الألباني في صحيح الجامع.



فإنه لا مثل له". (١)

لا مثل له في علاج الشهوات... لا مثل له في الوصول إلى الله...
لا مثل له على الميزان... لا مثل له في الوقاية من النيران.

خامساً: القيام، القيام:

استعداداً خاصاً قبل رمضان، حتى تخرج من رمضان قواماً بإذن الله، عوّد نفسك على القيام ولو نصف ساعة كل ليلة، حتى إذا جاء رمضان، تبني على أساس موجود، وكما قال أنس بن النضر يوم أحد: والله إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، فما يمنعك أن تقول: والله إني لأجد ريح الجنة دون شعبان.

سادساً: الزم الدعاء، وخذ حظك منه:

عوّد لسانك في هذه الأيام العظيمة المقبلة، أن تقول: اللهم بلغني رمضان، لعلك توافق ساعة إجابة فتفوز فوزاً عظيماً، اغتنم فرصة الدعاء المستجاب بين الأذان والإقامة، وثلاث الليل الآخر، وآخر ساعة يوم الجمعة، وغيرها، فعشر دقائق مذاكرة أو عمل لن تُغيّر مستقبلك، ولكن عشر دقائق دعاء صادق من قلب حاضر، يمكن أن

(١) صحيح سنن النسائي.

قُطُوفُ إِيمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٩

يغير دنياءك وآخرتك.

سابعاً: اجعل لك نصيباً من الدعوة إلى الله، والمشاركة في الخير:

لن تعجز أن تهتم بصديق واحد فقط، تتواصل معه، تصحبه إلى مجلس علم، تشجعه على الصيام والقيام، تتعاون معه على طاعة الله، فوالله لأن يهدي الله بك شاباً وحداً خير لك من الدنيا وما فيها. والله العظيم أسأل أن يرفع أعمالنا وهو راض عنا وأن يوفقنا إلى طاعته في شعبان وأن يبلغنا رمضان وأن يجعلنا من المقبولين.



لعله آخر رمضان

رمضان أقبلَ قم بنا يا صاح هذا أوان تبتل وفلاح
فاغنم ثوابَ صيامه وقيامه تسعدُ بخيرِ دائم وفلاح
فحريٌّ بالمؤمن الصادق أن يجعل من هذا الشهر العظيم فرصة
كبيرة للوقوف مع النفس، ومحاسبتها، لتصحيح ما فات، واستدراك
ما هو آت، قبل أن تحلَّ الزفريات، وتبدأ الآهات، وتشتد الكربات.

حريٌّ بنا في هذه الفرصة أن نغيّر من أحوالنا، ونُحسِّن من
أوضاعنا، فنفكر في مآلنا ومصيرنا قبل فراق حياتنا، فكم من أناسٍ
شهدوا معنا رمضان الماضي، فإذا بهم في رمضان هذا قد وارا هم
التراب، وصاروا إلى تراب، وفارقوا الأهل والأصحاب والأحباب!

○ لعله آخر رمضان

١- فهو فرصة ليصبح العبد من المتقين الأخيار ومن الصالحين

الأبرار:

قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، هذه هي حكمته

الكبرى، وتلك هي فائدته العظمى، تربية النفس، صلاح القلب، تقوى الله عز وجل.

فأين نحن من تقوى الله؟ أين نحن من العمل على صلاح قلوبنا؟ أين نحن من الاستعداد للقاء ربنا، التقوى كانت سمة بارزة في المجتمع الإسلامي الأول.

- فقد ضرب إمام المتقين عَلَيْهِ السَّلَام المثل في ذلك، كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، وهو الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

- وأما صاحبه المُبَجَّل وخليفته المعظم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعد إيمانه وجهاده وهجرته ونصرته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يقول: " ليتني كنت شجرة تُعَصَّد ثم تُؤْكَل " (١).

كان له خادمٌ يأتيه بالطعام، وكان من عادة الصديق أن يسأله كل مرة عن مصدر الطعام تحرزاً من الحرام، فجاءه خادمه يوماً بطعام فنسي أن يسأله كعادته فلما أكل منه لقمة قال له خادمه: لِمَ لَمْ تسألني كسؤالك كل مرة؟ فقال: من أين الطعام يا غلام؟ قال: دفعه إليّ أناسٌ كنت قد تكهنت لهم كهانة في الجاهلية، فارتعدت فرائص الصديق، وأدخل يده في فمه، وقاء كل ما في بطنه وقال: والله لو لم

(١) - الرياض النضرة في مناقب العشرة / محب الدين الطبري.



تخرج تلك اللقمة إلا مع نفسي لأخرجتها. (١)

- هارون الرشيد الذي بلغ ملكه أقصى البلاد شرقاً وغرباً، يخرج يوماً في موكبه وأُبَّهته، فيقول له يهوديٌ كانت له حاجة: يا أمير المؤمنين اتق الله، فينزل هارون من موكبه، ويسجد على الأرض لله رب العالمين، في تواضع وخشوع، ثم يأمر باليهودي ويقضي له حاجته، فلما قيل له في ذلك قال: لَمَّا سَمِعْتُ مَقُولَتَهُ تَذَكَّرْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِشْرَافِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، فخشيت أن أكون ذلك الرجل" (٢)

كم من الناس اليوم إذا قيل له: اتق الله، احمرت عيناه، وانتفخت أوداجه، غضباً لنفسه وغروراً بشأنه وعجباً برأيه !

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كفى بالمرء إثماً أن يقال له: اتق الله، فيقول: عليك نفسك" (٣)

فيومَ عُمِّرَت قلوب السلف بالتقوى، جمعهم الله بعد فرقة، وأعزهم بعد ذلة، وفُتِّحت لهم البلاد ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾

(١) - رواه أبو نعيم في الحلية ، وأصله في صحيح البخاري .

(٢) تفسير القرطبي .

(٣) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٣

لَقَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦]، فليكن هذا الشهر يا أُخَيَّ، بداية لباس التقوى، ولباس التقوى خيرٌ لو كانوا يفقهون ﴿٩٧﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٩٨﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٩٩﴾ [القمر: ٥٥]

○ لعله آخر رمضان

٢- لمن كان مفرطاً في صلاته:

فلا يصلحها مطلقاً، أو يؤخرها عن وقتها، أو يتخلف عن أدائها في جماعاتها، أو يفرط في خشوعها وخضوعها، فليعلم هذا المتهاون في صلاته أنه يرتكب خطأ قاتلاً وتصرفاً مهلكاً يتوقف عليه مصيره كله، فتلك جناية مخزية لا ينفع معها ندمٌ ولا اعتذار إذا وقف بين يدي الملك القهار جل جلاله، قال عزَّ من قائل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩].

قال ابن عباس: الغي الخسران، وقال ابن مسعود: الغي: وادٍ في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم. (١)

وقال ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد

(١) - تفسير ابن كثير.



كفر". (١)

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُورًا ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣]

يستقبلونه إما بالعبث والسهر حتى الصباح، وإما بالوان الطعام يأكلونه حتى التخمة، وإما بعبادة موروثة، ينامون نهاراً ويسهرون ليلاً!! فيا هؤلاء أقصروا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: " لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمداً من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمها عند الله أعظم من قتل النفس وأخذ الأموال ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة" (٢)

يَا تَارِكاً لصلاته إِنْ الصَّلَاةَ لِتَشْتَكِي
وَتَقُولُ فِي أَوْقَاتِهَا اللَّهُ يَلْعَنُ تَارِكِي

(١) - رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) - الصلاة وحكم تاركها.

○ لعله آخر رمضان

٣- لمن هجر القرآن:

قراءة وتدبراً وعملاً، حتى صار القرآن نسيّاً منسياً، أن يكون هذا الشهر بداية التغيير، وتجديد العهد مع القرآن، فيكون لك فيه وردٌ منه، ولو يسيراً، ولكن تداوم عليه مقيماً كنت أو مسافراً، صحيحاً أو مريضاً، صائماً أو مفطراً، فارغاً أو مشغولاً.

ففي الحديث المرفوع: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان" (١) كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: "لو طهرت قلوبنا، ما شيعت من كلام ربنا" (٢)

○ لعله آخر رمضان

٤- لمن كان مقصراً في نوافل العبادات:

من صلاة وصيام وصدقة وغيرها، أن يبدأ فيغيّر من حاله ويبدل من شأنه، فإن القلوب لا تفتح في شهرٍ كما تفتح في رمضان.

(١) - أخرجه أحمد في المسند بسند صحيح.

(٢) - إغاثة اللفهان : ابن القيم



عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة الصلاة المكتوبة فإن أتمها وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع، فإن كان له تطوعٌ أكملت الفريضة من تطوعه ثم يُفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك" ^(١)

وعند مسلم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من عبد يصلي كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة، إلا بني الله بيتاً في الجنة"

وفي البخاري، قال الله تعالى: "ولا يزال عبيدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"

فلماذا لا تجعل من رمضان فرصةً لأن يكون لك أيامٌ تصومها طوال دهرك وصلوات وصدقات تحافظ عليها طوال حياتك " ؟ !

○ لعله آخر رمضان

٥- لمن كان قليل الصبر سريع الغضب:

أن يتعلم الحلم والأناة، فأنت الآن ستصبر على الجوع والعطش

(١) - أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٧

والتعب والنصب ساعات طويلة، ألا يمكنك أن تعود نفسك من خلال شهر الصبر: الصبر على الناس وتصرفاتهم وأخلاقهم، وتذكر قول النبي ﷺ: "من كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي الحور العين شاء" (١)

فليكن هذا الشهر بداية لأن يكون الصبر شعارنا، والحلم والأناة دثارنا.

○ لعله آخر رمضان

٦- إلى المسرفين والمبذرين:

التي صارت بطونهم هي شغلهم! ما هكذا يا سعد تورد الإبل. والله لم يُخلق لنُساعد بطوننا، فالطعام وسيلة لا غاية، فافهم هذا حتى تبلغ الغاية، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧].

قال مالك بن دينار: " مَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ بَطْنُهُ أَكْثَرَ هَمِّهِ،

(١) - أخرجه الترمذي وصححه الألباني.



وَأَنْ تَكُونَ شَهْوَتُهُ هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَيْهِ " (١)

○ لعله آخر رمضان

٧- لمن ابتلى بتعاطي المحرمات من خمر ومخدرات ودخان ومسكرات:

أَنْ كَمَا صَبَرْتَ عَلَى هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ فِي النَّهَارِ فَاصْبِرْ عَلَيْهَا فِي اللَّيْلِ، فَإِنَّ رَبَّ النَّهَارِ هُوَ رَبُّ اللَّيْلِ، وَلَئِنْكَ لَا تَعْلَمُ مَتَى تُقْبَضُ، أَبِالنَّهَارِ أَمْ بِاللَّيْلِ؟

فاستعن بالله على ترك هذا البلاء، فَإِنَّ النَّصْرَ صَبْرٌ سَاعَةٌ، وَالْفَرْجُ قَرِيبٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.

○ لعله آخر رمضان

٨- لمن ابتلى بأكل الحرام، من ربا، ورشوة، وظلم، وتلاعب بالبيع والشراء:

سَتَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ مَلِكٍ جَلِيلٍ، يَحَاسِبُكَ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالنَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ، فِي حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عِلْمِهِ، مَا

(١) - غذاء الألباب شرح منظومة الآداب / السفاريني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٩

عَمِلَ فِيهِ؟ وَعَنْ عُمْرِهِ، فِيمَ أَفْتَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ
أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟" (١)

أَخِي، أُحْيِي: هل يسرك أن أهل الإيمان يرفعون أيديهم في صلاة
التراويح والقيام، يدعون الله تعالى، ويستغيثون به، ويسألونه من
فضله، فيستجيب لهم، ويردُّ عليك دعوتك ! ففي صحيح مسلم،
يقول ﷺ: " إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما
أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا
صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَأْتِيهَا
النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]، ثم ذكر الرجل
أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام،
ومشربه حرام، وغذّي من حرام، فأنى يُستجاب لذلك؟ "

○ لعله آخر رمضان

٩- لمن ابتلاه الله بقساوة القلب:

أن ينتهز فرصة هذا الشهر، الذي تكون فيه للنفوس صولة،
وللقلوب جولة، فيحرص على ترقيق قلبه، فيصرفه عن الذنوب التي

(١) - رواه الترمذي وصححه الألباني.



هي جالبةُ المصائب والخطوب، وحاجة القلوب عن علام الغيوب.
 رأيتُ الذنوب تَمِيت القلوبَ وقد يورث الذلَّ إدمانُها
 وتركُ الذنوبِ حياةَ القلوبِ وخيرٌ لنفسك عَصْيَانُها
 قال الحسن البصري: "إذا لم تقدر على قيام الليل، ولا صيام
 النهار، فاعلم أنك محروم، قد كبَلتَكَ الخطايا والذنوب" (١)

فليكن لك - يا حبيبي في الله - بين الفينة والفينة، زيارةٌ للمقابر،
 تأمل في أحوال أصحابها، فإن القوم فيها صرعى، والدود في عيونهم
 يرعى، عن الحديث سكتوا، وعن السلام صمتوا، الظالم بجانب
 المظلوم، والمنتصر بجانب المهزوم !

ذهب الحسن والجمال، والجاه والمال، وبقيت الأعمال، أموات
 يتجاورون ولا يتزاورون !

سكتوا وفي أعماقهم أخبار وجافهم الأصحاب والزوار

○ لعله آخر رمضان

١٠ - فاتقوا الله في ألسنتكم:

روى البخاري في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: " من لم يدع قول

(١) - نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان / سيد عفاني ، نقلاً عن : الحسن
 البصري لابن الجوزي.

الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه".

كان عبدة السلماني يقول: " اتقوا المفطرين الغيبة والكذب " (١)

فليكن رمضان فرصة لأن يتعود الإنسان على حفظ اللسان، فإن من صمت نجا.

إذا لم يكن في السمع مني تصوُّنٌ وفي بصري غَضٌّ وفي منطقي صمْتُ

فحظي إذاً من صومي الجوع والظمأ فإن قلتُ إني صمت يومي فما صمْتُ

قال جابر رضي الله عنه: " إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك سواء " (٢)

○ لعله آخر رمضان

١١ - لمن أسرف على نفسه بالخطايا والموبقات:

فإذا به يسمع الأغنيات، ويشاهد المسلسلات والقنوات

(١) - ذم الغيبة والنميمة / ابن أبي الدنيا.

(٢) - رواه البخاري ومسلم.



الفاضحات، ويعاكس الفتيات، ويرتكب المنكرات، أن يسارع إلى
الإنابة ويبادر إلى الاستقامة.
بادر قبل أن تبادر، فإن الله في كل ليلة عتقاء من النار، فاجتهد أن
تكون واحداً منهم.

فإلى متى تعصي وتتمرد، وأقبح من هذا أنك تتعمد!
ما هذا الأمل لست بمخلد
مَيَّزَ ما يبقى مما يفنى ثم اطلب الأجود



يا رياح التوبة هبِّي

حتى يفتح الله لنا ويغفر لنا ويقبلنا، حتى يأذن لنا أن ندخل عليه،
لا بد أن نرجع إليه.

وانتبه:

- ليست التوبة عبادة يتعبد بها العبد يوماً أو شهراً ثم ينساها، بل
التوبة لا تغادر العبد قيد أنملة، طالما أن العبد موجود فالتوبة
موجودة لا تغادره.

- والتوبة ليست خاصة بالمدننين، إنما هي سمة على طريق
الموحدين، فهذا هو ﷺ يقول: " يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني
أتوب إليه في اليوم مائة مرة " (١) فإن كان أظھر الخلق أجمعين وسيد
النبين، والمعصوم من معاصي رب العالمين، يتوب في اليوم مائة
مرة، فكم نحتاج من توبات، وتوبات، ونحن أصحاب المعاصي
والزلات!!

(١) رواه مسلم.



وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم" (١)

وتأمل قول الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

قال ابن القيم رحمته الله: " هذه الآية مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم..." (٢)

○ باب التوبة مفتوح على مصراعيه:

والله تعالى بكرمه الفياض ورحمته الواسعة فتح باب التوبة على مصراعيه للتائبين، ونادى بفضله وجوده على المذنبين، فقال: ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٥٢] وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: " إن الله تعالى ييسط يده بالليل

(١) - رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) - مدارج السالكين.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٣٥

ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها".

○ الرجوع الحقيقي:

ولكن ما التوبة التي يقبلها الله ويحب أهلها؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قُبُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

قال الحسن البصري: "هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على ألا يعود" (١)

التوبة: الرجوع عما يكرهه الله تعالى ظاهراً وباطناً، إلى ما يحبه الله تعالى ظاهراً وباطناً.

التوبة: هي ينبوع الفياض لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، هي أول طريق الفلاح، هي شعورٌ بالندم على ما وقع، وكفٌّ عن الذنب وتوجهٌ إلى الرب.

وهي واجبة على الفور، وتأخيرها ذنبٌ تجب التوبة منه، ووجوبها على كل مسلم طائعٍ وعاصٍ، ذاكِرٍ وغافلٍ، رجلٍ وامرأة.

(١) - تفسير البغوي.



في الطريق شروطٌ مضيئةٌ للسائرين:
واعلم أن التوبة الصادقة لا بد لها من شروط حتى تكون صحيحة مقبولة.

١- الإخلاص لله تعالى: فيكون الباعث على توبتك، هو حبُّك لله تعالى وتعظيمك له ورجاؤك في ثوابه وخوفك من عقابه، لا تقرباً إلى أحد ولا قصداً في عَرْضٍ من أعراض الدنيا.

٢- الإقلاع عن المعصية: فلا تُتصور صحة التوبة مع الإقامة على المعاصي، فما أكذب عبد يقول: يا رب تب عليّ وهو لا يزال مقيماً على علاقة محرمة مع فثاه أو يشاهد المقاطع الإباحية أو نحو ذلك! فلا يكون العبد تائباً إلا إذا تخلص من المعاصي، ومن كل ما يمت إليها بصلة.

وإذا عاود السائر إلى الذنب بعد التوبة الصحيحة، فلا تبطل التوبة المتقدمة، ولكن يحتاج إلى توبة جديدة، يُشترط فيها العزم على عدم العودة حال التوبة الأولى، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: " ما من عبدٍ إلا وله ذنبٌ، يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيمٌ عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خُلِقَ مفتتاً تواباً نسيّاً إذا ذُكِّرَ ذَكَرٌ " (١)

(١) - رواه الطبراني وانظر صحيح الجامع.

قال ميمون بن مهران: "الذكر ذكران: ذكر باللسان، وأفضل منه أن تذكره عند المعصية إذا أشرفت عليها" (١)

واحذر أيا صاحبي من مقدمات الذنب، فكل ما أدى إلى الحرام فهو حرام ولو كان في الأصل حلالاً، فالسهر مثلاً حلال لكنه إذا أدى إلى تضييع صلاة الفجر كان حراماً، وإذا دُعيت إلى مكان ما، كتهنئة أو زيارة أو دعوة إلى عرس، وعلمت أنك ستعرض هناك إلى الوقوع في المعصية، كان ذهابك محرماً، فمن تمام الإقلاع عن المعاصي الإقلاع عن مقدماتها وأسبابها.

٣- الندم: وأيُّ إنسان أحقُّ بالندم ممن عصى الله عز وجل؟

أفلا يندم العبد على تفريطه في جنب ربه؟

أفلا يندم العبد على تضييعه لوقته ورأس ماله، لا في المباح بل فيما يحرق شمعة حياته ويعرّضه لسوء الخاتمة؟

فلا تتصور توبة بغير ندم، فقم يا صاحبي واهتف في جوف الليل وناد في الأسحار، وقل:

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت ولا أطيق لها حصراً ولا عدداً
وليس لي بعذاب النار من قبل ولا أطيق لها صبراً ولا جلدًا

(١) - الورع / لابن أبي الدنيا.



٤- العزم: اعزم ألا ترجع إلى الذنب ولا تعود إليه، وكن رجلاً، فإذا وعدت فأوف، وإذا نويت فاصدق، وإذا عزم فتوكل على الله.

٥- رد المظالم إلى أهلها: فإذا كانت المعصية تتعلق بحقوق الأدميين، وجب عليك أن ترد الحقوق إلى أهلها حتى تقبل توبتك، ففي البخاري قال ﷺ: "من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء، فليتحلله اليوم قبل ألا يكون ديناراً ولا درهماً، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه".

٦- أن تكون التوبة في زمن قبولها: وهو ما كان قبل حضور الأجل، وطلوع الشمس من مغربها.

فهيا يا حبيبي في الله نعلنها رجعة إلى الله، قبل دخول رمضان وقبل فوات الأوان، فالموت لا يستأذن على أحد، والآجال محدودة، والأعمار معدودة والأيام دول.

كل بأك فسيفى وكل ناع فسيفى
وكل مخلوق سيفنى وكل مذكور سيفنى
ليس غير الله يبقى من علافاً الله أعلى

○ ثمرات الرجعة:

نتوب: لأن الله يحب لعبده أن يتوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

نتوب: من تقصيرنا في حق ربنا، نتوب من غفلتنا عن خالقنا،
نتوب من تضييع الأوقات، نتوب من المعاكسات، نتوب من تأخير
الصلوات، نتوب من تضييع الجماعات، نتوب من ذنوب العينين
وذنوب الأذنين وذنوب اللسان والشفتين، نتوب من تعلق قلوبنا
بغير الله، نتوب من سوء معاملتنا لأزواجنا، نتوب من جفائنا مع
آبائنا وأمهاتنا، نتوب من تقصيرنا في حق آبائنا، نتوب من قطيعتنا
لأرحامنا، نتوب من صحبة السوء، نتوب، لأن الله أمرنا أن نتوب.

نتوب: لأن التوبة تحقق لنا السعادة في الدنيا والآخرة، فكثير من
الناس يعيشون سعادة وهمية زائفة، بل هي على التحقيق ليست
سعادة، لأنك إذا رأيت الرجل يستلذ بالتراب على شهوة الطعام
والحلوى فهل يكون حسه سليماً؟ لا شك أنه مريض، فكذلك من
يتلذذ بالمعاصي، لا لأن المعاصي يُتَلَذَّذُ بها، ولكن لأن في قلبه
فساداً، فهو يحتاج إلى إصلاح قلب، ولا يصلح القلب إلا بالتوبة إلى
الرب والرجوع إليه.



○ وصايا على الطريق:

١- إن أول طريق التوبة: أن تقف مع نفسك وقفة صدق:

تقول لها: يا نفس توبي قبل أن تموتي، فإن الموت يأتي فجأة،
ذكّرْها بالأصحاب، قل لها: مات فلان وفلان، أما لك في هذا من
واعظ؟

ووالله إن هذا اليوم قادم، وإنه لقريب، ويا ليت الأمر يتوقف عند
الموت بلا بعث ولا حساب لكان الأمر هيناً، ولكن بعد الموت
بعث، وبعد البعث حشر، وبعد الحشر صحف، وعند الصحف
ميزان، وبعد الميزان جنة أو نيران.

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

ولكننا إذا متنا بُعثنا لنُسأل بعدها عن كل شيء

٢- غير موطن المعصية.

إن الذي يريد النجاة لا يسكن في أرض موبوءة، فإن ميكروب
المرض حتماً سيصيبه، فكيف لتائب من الزنا أن تحسن توبته وهو
لا يترك الذهاب إلى المراقص والمسارح؟ وكيف لتائب من
مصافحة النساء وهو لا يترك أماكن الاختلاط والمحادثات والكلام؟
وكيف لتائب من التدخين وهو يجلس وسط المدخنين فلا هو

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٤١

ينهاهم ولا هو يفارق مجلسهم؟!

وهو عينٌ ما وصّى به العالم الرباني الرجل التائب قال: " نَعَمْ
ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها
أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا تعدّ إلى أرضك فإنها أرض
سوء... " (١)

٣- داوم محاسبة نفسك، ومجاهدتها، ومعاتبتها:

قل لنفسك: يا نفس إن متنا الآن فبِمَ نلقى الله؟ يا نفس أما تعلمين
أن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك
والفزع الأكبر بين يديك؟
يا نفس أما تخافين؟

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الطَّرَاقَ ﴿٦٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٦٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٦٨﴾ وَالتَّتَمَّتِ اللَّسَاقُ ﴿٦٩﴾ إِلَىٰ رَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٧٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٧١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٧٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمَنَّى ﴿٧٣﴾ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٧٥﴾ أَيْحَسِبُ
الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٧٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣٥]

فيظل العبد يحاسب نفسه ويجاهدها حتى تؤوب وتتوب إلى
علام الغيوب.

(١) - متفق عليه.



٤- لا تعط نفسك كل ما تطلب:

لا تُلبِّ كل طلب لنفسك، لا تجعلها تقودك، بل قدها أنت إلى الطريق المستقيم وابعدها عن طريق الشيطان الرجيم.

٥- ارفع لنفسك أعلام الآخرة:

أر نفسك الجنة والنار، قل لنفسك: هذا طريق الصلاة، طريق المسجد، طريق الصيام والقيام والقرآن، طريق العلم النافع... وذاك طريق الشهوات والمعاصي والنساء والمنكرات... هذا طريق الجنان، وذاك طريق النيران، فأی لطريقين تريدین؟

﴿ أَفَنَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك ٢٢].

قال إبراهيم اليتيم: " مثَلْتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعانق سلاسلها وأغلالها، ثم قلت لنفسي: أي شيء تريدین؟ قالت: أريد أن أُرَدَّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً، فقلت: أنت في الأمانة فاعملي" (١)

(١) - محاسبة النفس لابن أبي الدنيا

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٤٣

٦- لا تفارق الأخيار:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَنَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝١٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

فالصاحب صاحب، يسحبك إلى الخير أو إلى الشر، فصاحب من يسحبك إلى الخير، تنل الخير وتصح توبتك.

واشوقاه إلى العفو والمغفرة والعق من النار

○ أقبل على الله يُقبل عليك:

يا حبيبي في الله: هل أحسست يوماً أن الأرض قد ضاقت عليك بما رحبت، وضاقت عليك نفسك، وانتابك الهم والحزن والعجز والكسل، فلم تدّر أين المفر؟

هل ساءت علاقتك بمن حولك من أقاربك وأصحابك وأهلك وجيرانك؟

هل تشعر بعدم البركة في حياتك؟ في مالك أو وقتك أو تدبير معيشتك؟ هل لاحظت ما يصيبنا في هذه الأيام، أفراداً وجماعات،



من مصائب وأمراض وطواعين وكربات وابتلاءات ؟
 هذه بعض آثار الذنوب والمعاصي، فالمعاصي لا تترك صاحبها
 حتى يضيق صدره ويقسو قلبه ويزداد حزنه وتتضاعف حيرته ويتمنى
 أن يموت فراراً من عذاب الدنيا وضنكها، فكيف بعذاب الآخرة ؟
 فانتبه يا أُخَيَّ:

المعاصي تزيل النعم وتجلب النقم وتُسود الوجه وتظلم القلب
 وتضعف البدن وتنقص الرزق.. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا
 كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]

ولكن: ها هو رمضان قد اقترب، التوبة فيه معروضة، ومواسم
 الطاعات مشهودة، فلئن كنت أتعبتك المعاصي وأثقلتك الذنوب
 فاعلم أن لك رباً يريدك أن تتوب ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧]،
 ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
 [النساء: ١١٠] وفي الحديث القدسي: " يا ابن آدم إنك ما
 دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي " (١).

(١) - رواه الترمذي وحسنه الألباني.

فيا باغي الخير أقبل.. ويا باغي الشر أقصر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِدت الشياطين ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار، فلم يُفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي منادٍ كل ليلة: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة" ^(١)

- يا مستثقلاً رمضان أقصر:

إن أول شر يرتكبه أهل الغفلة أنهم يستثقلون هذا الشهر، يعدُّون أيامه ولياليه وساعاته، لأنه يحجب عنهم الشهوات ويمنعهم اللذات، فهم يستقبلون رمضان استقبلاً مؤسفاً كأنهم لا يستقبلون ركناً من أركان الإسلام!!

- يا أيتها المتبرجة أقصري:

إن من أعظم بغاة الشر في هذا الشهر الكريم: المتبرجة، التي لا تنوي التوبة من هذه الكبيرة، بل تبغي الفساد في الإصرار على إظهار الزينة والخروج إلى المجامع والطرقات، متعطرات متطيبات،

(١) - رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني.



كاسيات عاريات !

يقول ﷺ: " سيكون في آخر أمتي نساءٌ كاسياتٌ عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات " (١)

وقال ﷺ: " وشر نسائكم: المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات لا يدخلن الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم " (٢)

فأقصرى أيتها المسلمة عن الضر والشر، وأقبلِي على البر والخير.

إذا أردت العفو أقبل، إذا أردت المغفرة أقبل، إذا أردت العتق أقبل، فإن من أقبل على الله، أقبل الله عليه، ففي حديث أبي هريرة، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلٍّ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلٍّ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً". (٣)

(١) - رواه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه الألباني.

(٢) - رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) - رواه مسلم.

○ طالما أدركت، فاشكر، وأبشر:

اشكر الله على نعمة عظيمة أسداها إليك، وهي أن مَدَّ عمرُكَ حتى تستفيد من هذا الشهر المكرم بأنواع الطاعات المختلفة، فكم من قلوب اشتاقت إليه، لكن لم يُسعفهم ذلك، وكم من مرضى وأسرى على الأسيرة البيضاء لا يستطيعون الصيام ولا القيام.

فاحمد الله على نعمة الحياة والصحة والعافية، فإذا عرف العبد هذه النعمة وشكرها حفظها الله وزادها، وإذا لم يشكرها أو استخدمها في معصيته سلبها منه وقلبها عليه نقمة وعذاباً.

رمضان شهر الشكر، ولو سجدنا لله على إِبْر الشوك إلى يوم لقياه ما قَدَرْنَا حق عطاياه، فكيف بنعم الله وفضله في رمضان، شكرٌ على الإسلام وكفى بها نعمة! شكرٌ على نعمة البقاء وإدراك رمضان ونحن أحياء، شكرٌ على غفران الذنوب، شكرٌ على فتح أبواب الجنان، شكرٌ على غلق أبواب النيران، شكرٌ على تصفيد الشياطين، شكرٌ على إجابة الدعاء، شكرٌ على العتق من النيران، شكرٌ على التهجّد والتراويح، شكرٌ على الصدقات والتسبيح، شكر على مواساة الفقير، قال تعالى - في خواتيم آيات الصيام -: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٨١]

قصّ النبي ﷺ علينا قصة رجلين أسلما في آن واحد، لكنّ



أحدهما أدرك رمضان، ولم يدركه الآخر، فانظر كيف كان الفرق بينهما؟

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، أن رجلين من بليّ [مكان] قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إسلامهما جميعاً، فكان أحدهما أشدَّ اجتهاداً من الآخر، فغزا المجتهدُ منهما، فاستشهد ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم توفّي، فرأيت فيما يرى النائم، أني عند باب الجنة، إذ أنا بهما، فخرج خارجُ من الجنة، فأذن للذي توفّي الآخر منهما، ثم رجع فأذن للذي استشهد، ثم رجع إليّ فقال: ارجع فإنه لم يأن لك بعد، فأصبح طلحة يحدث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحدثوه الحديث فقال: من أي شيء تعجبون؟ قالوا: يا رسول الله، هذا كان أشد الرجلين اجتهاداً ثم استشهد، ودخل الآخر الجنة قبله، فقال صلى الله عليه وسلم "أوليس قد مكث بعده سنة؟ قالوا: بلى قال: وأدرك رمضان فصلى وصام كذا وكذا من سجدة في السنة؟ قالوا: بلى، قال: فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض" ^(١)

○ جَدِّدِ النِّيةَ وَاصْدُقِ الْعِزْمَ، وَأَعْلِ الْهَمَةَ:

صلاح القول والعمل، والاجتهاد في الطاعة والذكر، وتعمير

(١) - رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

٤٩

رمضان بالأعمال الصالحة، وإعطاء الصيام والقيام حقه، كل ذلك إنما يتحقق بالعزم الصادق، وعلو الهمة، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

فما عزم عبد على طاعة الله ونوى بقلبه أن يقوم لله إلا أعانه الله، فإذا حال بينه وبين ذلك حائل بلغه الله الأجر، ونال البر والفضل، فكم من أناس ماتوا في أوائل رمضان، هنيئاً لهم إن كانوا عقدوا النية الصالحة في أول الشهر على الطاعة والاجتهاد والجِدِّ.

فالنية الصالحة تبلغ بالعبد مبلغ العمل إذا عجز عنه، كما في صحيح مسلم، أن النبي ﷺ قال: "من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه"

وقال ﷺ: "من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عينه حتى أصبح، كُتِبَ له ما نوى، وكان نومه صدقةً عليه من ربه عز وجل" (١)

○ استحضر صورة رمضان كما وصفه الله عز وجل "أياماً معدودات":

سرعان ما يُؤلَّى، فهو ضيف كريم ولكنه سريع الرحيل،

(١) - رواه ابن ماجه والنسائي وصححه الألباني.



واستحضر أن المشقة الناشئة عن الاجتهاد في العبادة تذهب أيضاً، ويبقى الأجر وانسراح الصدر.

وعن قريب نلتقي في العيد إن شاء الله، وقد مرّ رمضان كالبرق، فاز فيه من فاز وخسر فيه من خسر.

وضع نصب عينيك قول النبي ﷺ: " شقي عبد أدرك رمضان ثم انسلك منه ولم يُغفر له.. " (١).

فإن رمضان أيامٌ معدوداتٌ، وفرصٌ سانحاتٌ، وإن اغتنام هذه الأيام لدليل الحزم، وإنّ انتهاز تلك الفرص لعنوان العقل؛ ذلكم أن الوقت رأس مال الإنسان، وساعات العمر هي أنفُسُ ما عني الإنسان بحفظه؛ فكل ساعة من ساعاتِ عُمرِكَ قابلةٌ لأن تضعَ فيها حجراً يزداد به صرْحُ مجدِكَ ارتفاعاً، ويقطع بها قومُك في السعادة باعاً أو ذراعاً، فدع الراحة جانباً، واجعل بينك وبين اللهو حاجباً؛ فالحكيم الخبير يُقدِّرُ الوقتَ حقَّ قدره، ولئن كان حفظُ الوقتِ مطلوباً في كل حين وآن، فلهو أولى وأحرى بالحفظ في الأزمنة المباركة، ولئن كان التفریطُ فيه وإضاعته قبحاً في كل زمان، فإن قبح ذلك يشتد في المواسم الفاضلة.

(١) - انظر صحيح الأدب المفرد والصحيحة.

ومن الناس مَنْ قَلَّ نصيبه من التوفيق، فلا تراه يلقي بالاً لحكمة الصوم، ولا لفضل الشهر، فتراه يجعل من رمضان فرصةً للسهر واللهو الممتد إلى بزوغ الفجر، والنوم العميق في النهار حتى غروب الشمس.

ولا يخفى على عاقل لبيب ما لهذا الصنيع من أضرار على دين الإنسان ودنياه، فهو قلب للفطرة، فالله عز وجل جعل الليل لباساً، والنهار معاشاً، كما أنه إضاعة للوقت، وتعطيل للمصالح، وتضييعٌ للواجبات !

ومن كان هذا صنيعه فلن يُرجى منه خيرٌ في الغالب لا لنفسه ولا لغيره.



جوائز وفضائل وثمرات

للصيام فضائل كثيرة، وثمرات غزيرة منها:

١- أن الصوم لا مثل له:

فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قلت: "يا رسول الله، مُرني بأمرٍ ينفعني الله به، قال: عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له" ^(١)

٢- أن الله تبارك وتعالى أضافه إليه:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به" ^(٢)

والمعنى: أن الصوم اختصه الله تعالى من بين سائر الأعمال؛ لأنه أعظم العبادات إطلاقاً؛ فإنه سرٌّ بين الإنسان وربه؛ فالعبد لا يعلم هل هو صائم أم مفطر؛ إذ نيته باطنة؛ فلذلك كان أعظم إخلاصاً؛ فاختصه الله سبحانه من بين سائر الأعمال؛ تعظيماً لقدره. ^(٣)

(١) - رواه أحمد، والنسائي، والبيهقي.

(٢) - رواه البخاري ومسلم.

(٣) - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٥٣

٣- تجتمع في الصوم أنواع الصبر الثلاثة:

وهي: الصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقداره سبحانه وتعالى.

فهو صبر على طاعة الله؛ لأن الصائم يصبر على الطاعة من صيام وقيام وذكرٍ، ونحوها.

وصبر عن معصية الله سبحانه؛ لأن الصائم يتجنب ما يحرم عليه. وصبر على أقدار الله تعالى؛ لأن الصائم يُصْبِيه أَلَمُ الْعَطَشِ والجوع وضعف النفس؛ فلهذا كان الصوم من أعلى أنواع الصبر؛ لأنه جمع بين الأنواع الثلاثة، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ ﴾ [الزمر: ١٠] (١)

٤- الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: " الصوم والقرآن يشفعان للعبد؛ يقول الصوم: أي رب، إني منعتك الطعام والشهوات بالنهار؛ فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتك النوم بالليل؛ فشفعني فيه، فيشفعان " (٢)

(١) - الشرح الممتع لابن عثيمين.

(٢) - رواه أحمد والطبراني والحاكم.



أي: يُشَفَّعُهُمَا اللهُ فيه، ويدخله الجنة.

٥- الصوم من الأعمال التي وعد الله تعالى فاعلها بالمغفرة والأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥]

٦- الصوم كفارة للذنوب الخطايا:

فعن حذيفة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفرها: الصلاة، والصوم، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكْفِّرَات لما بينهن، إذا اجْتَنِبْتُ الْكِبَائِرَ " (٢)

(١) - رواه البخاري ومسلم.

(٢) - رواه مسلم

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

٥٥

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه " (١)

٧- الصوم جُنةٌ من العذاب، وحصن من النار:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " الصوم جنة " (٢)
وقد ذكر بعض العلماء أن الصوم إنما كان جُنةً من النار؛ لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات؛ فإذا كفَّ نفسه عن الشهوات في الدنيا، كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة.

٨- الصوم من أعظم أسباب دخول الجنة:

فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخل آخرهم أُغلق فلم يدخل منه أحد "، وفي رواية للبخاري: " في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون " (٣)

(١) - رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) - رواه البخاري.



وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أن رجلاً سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله، أرايت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً، أأدخل الجنة؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم " (١)

٩- للصائم فرحتان:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه " (٢)

١٠- خلوف فم الصائم عند الله تعالى أطيب من ريح المسك:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " (٣)

١١- الصوم يُزيل الأحقاد والضغائن:

كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر، يُذهبن وحر الصدر " (٤)

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه البخاري، ومسلم.

(٣) - رواه البخاري، ومسلم.

(٤) - رواه أحمد، وابن شيبة، والبيهقي.

١٢- الصوم وسيلة لتحقيق تقوى الله عز وجل:

فالصائم الذي امتنع عن الحلال في نهار رمضان، يسهل عليه أن يمتنع عن الحرام، وقد قال تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]

١٣- في الصوم تربية للنفس على الإرادة، وقوة التحمل:

فالصوم يَهْدِبُ النفس ويضبطها؛ حيث يحبس النفس عن الشهوات، ويفطمها عن المألوفات؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: " يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء" (١)

١٤- في الصوم قهر للشيطان:

فإن وسيلته إلى الإضلال والإغواء: الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب، والصوم يُضَيِّق مجاري الدم، فتضيق مجاري الشيطان، فيقهر بذلك؛ فعن صفية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

(١) - رواه البخاري، ومسلم.

"إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" (١)

١٥- الصوم موجبٌ لرحمة الفقراء، والعطف على المساكين:

فإن الصائم إذا ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات، تذكَّر مَنْ هذا حاله في جميع الأوقات، فتُسرع إليه الرقة والرحمة، والإحسان إلى المحتاجين.

١٦- الصوم يطهر البدن من الأخلاط الرديئة، ويكسبه صحة وقوة:

وقد شهد بذلك الأطباء المختصون، فعالجوا مرضاهم بالصوم. هذه الفوائد وغيرها، هي بعض ما يدركه عقل الإنسان المحدود من هذه العبادة العظيمة، وذلك حين تُؤدَّى على وجهها المشروع.



(١) - رواه البخاري، ومسلم.

مفاتيح القبول في رمضان

○ المفتاح الأول: مفتاح الشوق إلى الله:

الشوق إلى المغفرة، الشوق إلى الجنان، الشوق إلى باب الريان، الشوق إلى عفو الرحمن.

كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بـرمضان، بشرى التشوق لبركاته ورحماته، في كل ساعاته وأوقاته، فكان يقول لهم: " قد جاءكم رمضان، شهرٌ مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب الجحيم، وتغل في الشياطين، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، من حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ " (١)

لهذا كان السلف رضي الله عنهم يترقبون هذا الشهر، متمنين تمامه، لإتمام صيامه وقيامه، متقلبين في أيامه بين الطاعات والعبادات، فكان من دعائهم كما يقول يحيى بن كثير: " اللهم سلِّمنا إلى رمضان، وسلِّم لنا رمضان وتسلِّمنا متقبلاً " (٢)

(١) - رواه أحمد والنسائي والبيهقي وصححه الألباني.

(٢) - ذكره ابن قاسم النجدي في وظائف رمضان، وعزاه إلى ابن عساكر.



وكانوا - كما يقول مُعَلَّى بن الفضل - يدعون الله تعالى ستة أشهر، أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم" (١)

إن هذا الاستعداد الصادق لاستقبال رمضان يدل على قلوبٍ حيّةٍ تريد الله والدار الآخرة، إنها فرصةٌ عظيمةٌ تستحق كمال الشوق وتمام الاستعداد.

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد فأدّ حقوقه قولاً وفعلاً وزادك فاتخذ هذه للمعاد فمن ذرع الجبوب وما سقاها نأوه نادماً يوم الحصاد

○ المفتاح الثاني: مفتاح الإخلاص:

هناك من يستقبل رمضان فيصوم ويصلي ويقوم الليل، ولكن على سبيل العادة السنوية، وهذا قد لا يثاب على ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]

وفي الصحيحين يقول ﷺ: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه" فلا بد من النية الصالحة، ولا بد من تَفْحُصٍ هذه النية ومراجعتها يوماً بعد يوم.

(١) - لطائف المعارف / ابن رجب.

○ المفتاح الثالث: مفتاح الاتباع:

إذا أخلصت لله، فكن على السُّنة، فإنها سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

فكل عبادة لا تُقبل إلا بشرطين:

١- الإخلاص.

٢- اتباع السنة.

فمن أراد القبول في رمضان، فليحرص أن يكون صومه وفطره وقيامه وذكره ودعاؤه وتلاوته وجميع أعماله وفق سنة النبي ﷺ، وليحذر من الابتداع في الدين، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

○ المفتاح الرابع: مفتاح العزيمة (الإرادة والصدق والهمة):

يعزم مريدُ القبول على سلوك سبل الخير وإدراك الفضائل والكمالات، وترك كل المحرمات والمنكرات، والبعد عن كل قاطع ومُعوق.

○ المفتاح الخامس: مفتاح التغيير:

وبهذا المفتاح تبدأ بالفعل عملية التغيير، وشهر رمضان من أكبر الفرص في إنجاح هذه العملية، وهي ما يُطلق عليها السلوكيون:



التخلية والتحلية، فتُخَلِّي قلبك من الشرور والمفاسد والأمراض، وتجعل مكان ذلك المحاسن والمكارم، واجعل نُصَب عينيك قول النبي ﷺ: " رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ رَمْضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ " (١)

○ المفتاح السادس: مفتاح تنظيم الوقت:

بهذا المفتاح يُستغلُّ الوقت، ويُحافظ عليه، وَيُنَظَّم، وإنما يكون بالترتيب والتخطيط والجدولة.

○ المفتاح السابع: مفتاح تحديد الأهداف:

من خلال تنظيمك للوقت، لابد أن تحدد لنفسك أهدافاً في هذا الشهر العظيم، منها:

- ١- الوصول إلى منزلة التقوى، ومن علاماتها: فعل الواجبات والمسنونات وترك المحرمات والشبهات والمكروهات.
- ٢- التعود على إدراك الصلوات الخمس في جماعة.
- ٣- ترك العادات القبيحة، كالتدخين والمعاكسات ومشاهدة القنوات والمواقع المشبوهة ونحوه.
- ٤- ختم القرآن بتدبر كل ثلاث، أو كل أسبوع، أو كل عشرة أيام.

(١)- رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

٥- حفظ عشرة أجزاء من القرآن.

٦- إحياء سنة الاعتكاف.

○ المفتاح الثامن: مفتاح المبادرة:

وهذا المفتاح يُمكنك من المسارعة إلى الخيرات واغتنام الدقائق والثواني، وعدم التواني في إدراك الفضائل، فقد قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى عن عبادة الصالحين وأنبيائه المكرمين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال ﷺ: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم..." (١)

اجعل شعارك في رمضان: "ان استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل"

○ المفتاح التاسع: التنويع:

وهذا المفتاح يُمكنك من الدخول على الله من جميع أبواب الخير وعدم الاقتصار على عبادة بعينها، فمن أبواب الخير: الصيام،

(١) - رواه مسلم.

والصلاة، القيام، والصدقة، وقراءة القرآن، والذكر، والدعاء، والانفاق في سبيل الله، وتفطير الصائمين، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من الأبواب.

فائدة هذا المفتاح: عدم الملل والسآمة الناتجة عن الاختصار على لون واحد من العبادة.

○ المفتاح العاشر: مفتاح المحاسبة:

ففي كل يوم تنظر في أمرك وتحصي الخلل الذي يقع منك والهفوات التي تعتريك، ويمكنك استدراك ذلك بالتوبة والاستغفار والندم ومحاولة التغيير.

قال الله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، ويقول عمر بن الخطاب: "أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية" (١)

(١) - إغاثة اللهفان / ابن القيم.

قال ميمون بن مهران: " لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه محاسبة الشريك، حتى يعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه، أمن حلال أم من حرام "؟ (١)

هذه المفاتيح العشرة، أسنانها التي تفتح بها: المجاهدة، فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٩٦]



(١) - إغاثة اللفهان / ابن القيم.



كيف تقضي يومك في رمضان ؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا كانت أولُ ليلةٍ من شهر رمضان، صُفِّدَت الشياطين ومردةُ الجن، وغُلِّقَت أبوابُ النار فلم يفتح منها باب، وفتِّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر " (١)

استجابة لهذا النداء: " يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر " تعال لترى كيف يمكنك أن تقضي يومك في رمضان ؟ بحيث تستغل كل لحظة من لحظاته في طاعة أو قربة، لعلنا أن نُكْرَمَ بعفو الرحمن ونُعتَقَ من النيران.

(١) عند الاستيقاظ للسحور:

— بمجرد أن تفتح عينيك، احرص أن تقول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموطن، حيث قال: " من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير،

(١) - رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٦٧

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: " اللهم اغفر لي، إلا غفر له، فإن قام فضلي قُبلت صلاته " (١)

— ثم تتوضأ وتصلي ركعتين خفيفتين تُقبل فيهما بوجهك وقلبك على ربك عز وجل، ففي الحديث: " من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قام فركع ركعتين، لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه " (٢)
— احرص أن تنوي بأكلة السحور إصابة السنة، فقد قال ﷺ: "تسحروا فإن في السحور بركة" وحث النبي ﷺ على السحور ولو بجرعة ماء.

— أكثر من الاستغفار والدعاء في هذا الوقت، فإن الله عز وجل وصف المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝﴾ [الذاريات: ١٨]
(٢) التبكير إلى صلاة الصبح وسماع الأذان في المسجد حتى تتمكن من:

- أ— ترديد الأذان والدعاء بعده.
ب— المحافظة على صلاة الجماعة.

(١) - رواه البخاري.

(٢) - متفق عليه



ت - المحافظة على تكبيرة الإحرام.

ث - إدراك الصف الأول.

فقد قال النبي ﷺ: " لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا " (١)، وقال ﷺ: " خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها " (٢)

تأمل: تصلي في الجماعة الأولى في المسجد وتكون من شر الصفوف !

وقال ﷺ: " إن لله ملائكة يصلون على الصف الأول " (٣)

وصح أن النبي ﷺ كان يستغفر للصف الأول مرتين، والثاني مرة، ثم لم يلتفت ويصلي " (٤)

ج - التبكير إلى الصلاة، فذلك دليل على أن القلب معلق بالمساجد، فمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله: " ورجل قلبه معلق بالمساجد " (٥)، فيا باغي الخير أقبل.

(١) - متفق عليه.

(٢) - رواه مسلم.

(٣) - رواه أحمد وصححه الألباني.

(٤) - رواه ابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني.

(٥) - متفق عليه.

قال سعيد بن المسيب: "لي أربعون سنة، لم يؤذن المؤذن لصلاة من الصلوات الخمس إلا وأنا في المسجد" (١)

ح - التبكير إلى الصلاة وانتظارها في المسجد، فذلك سبب لحضور القلب، وهو لبُّ الصلاة قال الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١-٢].

د - يتمكن المبكر إلى الصلاة من الدعاء بين الأذان والإقامة، كما قال النبي ﷺ: "الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد" (٢) وهكذا كل صلاة تحافظ على التبكير إليها تحظى بهذه الفضائل، فهنيئاً لك.

٣) المحاولة الجادة للجلوس في المسجد إلى طلوع الشمس ثم صلاة ركعتين وذلك في الثلاثين يوماً:

فقد كان ﷺ يجلس إذا صلى الفجر يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين (٣) وهو الذي قال: "من صلى الفجر في جماعة، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين،

(١) - إحياء علوم الدين.

(٢) - رواه أحمد وصححه الألباني.

(٣) - رواه مسلم.



كُتِبَ لَهُ أَجْرُ حِجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَةً تَامَةً تَامَةً" (١)

٤) المحافظة على الذكر، المقيد، والمطلق:

الأذكار بعد الصلاة، أذكار الصباح والمساء، وغيرها، والأذكار المطلقة، فالذكر حياة القلوب، وغذاء الأرواح، قال تعالى: ﴿لَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]

وأعظم الذكر في رمضان، القرآن:

فرمضان شهر القرآن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ٥٨١]، لذلك كان حال السلف مع القرآن عجباً:

- كان قتادة: يَخْتَمُ القرآن في كل سبع ليالٍ مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليالٍ مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة. (٢)
- كان الشافعي: يَخْتَمُ القرآن في رمضان ستين ختمة، في اليوم

(١) - أخرجه الترمذي وصححه الألباني في الصحيحة

(٢) - لطائف المعارف.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٧١

يختم ختمتين، ختمةً بالليل وختمةً بالنهار^(١)

— كان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك العبادة، وأقبل على قراءة القرآن^(٢)

— وكان مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم^(٣)

أين نحن من هؤلاء؟

إذاً فليستحوذ القرآن على غالب وقتك، بالنهار قراءة وتدبراً وترتيلاً، أما إذا كنت في عملك فالزم الذكر ولا تفتر.

اقترح للعمل:

الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

المتفرغون: فهؤلاء يقرءون بتدبر عشرة أجزاء يومياً، في كل صلاة قبلها يقرأ جزءاً وبعدها يقرأ جزءاً، أو كما يشاء.

العاملون إلى الظهرية: يقرءون خمسة أجزاء بتدبر يومياً مع كل صلاة جزءاً.

(١) - لطائف المعارف.

(٢) - السابق.

(٣) - السابق.



العاملون طوال اليوم: يقرؤون ثلاثة أجزاء.

لا تنس: أن جبريل عليه وسلم، كان ينزل على النبي ﷺ كل ليلة في رمضان يدارس النبي القرآن.

(٥) رمضان شهر الجود:

كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، ومعلوم أن جبريل كان يلقاه كل ليلة، إذا كان النبي ﷺ يتصدق ويجود بالخير كل ليلة.

وفي الصحيحين يقول ﷺ: " ما من يوم يصبح على العباد إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً "

فلا تحقرن من الصدقة تمره، فقد تكون سبب نجاتك من النار، كما في الصحيحين، قال ﷺ: " اتقوا النار ولو بشق تمره ".

اقترح للعمل: أخرج من مالك كل يوم، ولو أدنى شيء، وضع ما تُخرجه في حافظة المال [حصالة]، ثم أخرج المال منها، وأعطه لمستحقه، فتكون كأنك تصدقت كل يوم.

(٦) صلاة الضحى:

ركعتان أو أربع أو ست أو ثمان، ففي الحديث القدسي: " يا ابن

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٧٣

آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره" (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أوصاني خليلي بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام" (٢)

(٧) صلاة التراويح:

قيام الليل شرف المؤمن، هذا ما تنزل به أمين السماء جبريل على أمين الأرض محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: "يا محمد اعمل ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس" (٣)

وليل رمضان ليس ككل ليل، فقيام ليله شرفٌ على شرف.

○ وصيتان متعلقتان بصلاة القيام:

الأولى: من أحرز القيام فقد أحرز رمضان، ففي الصحيح: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"، وفيه أيضاً: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"

(١) - ت صحيحه الألباني.

(٢) - رواه مسلم.

(٣) - أورده الألباني في السلسلة الصحيحة.



الثانية: " وقوموا لله قانتين " أدّها أداءً يليق بجلال الله.

(٨) البر والصلة والتزاور.

(٩) الاعتكاف.

(١٠) المعين على ذلك كله، المجاهدة.

وفي الحديث قال ﷺ: " المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله،

والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب " (١)



(١) - أخرجه احمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

فقّه واجب

معنى الصوم:

الصوم: هو التعبد لله تعالى، بالإمساك عن الأكل والشرب وسائر المفطّرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

حكم صوم شهر رمضان:

صوم شهر رمضان فريضة من فرائض الدين، وركن من أركان الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت " (١)

(١) - رواه البخاري ومسلم.



وعليه: فمن ترك صوم رمضان جاحداً لفريضته، فهو كافر، وعليه إجماع أهل العلم، إلا أن يكون قريب العهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة عن المسلمين، بحيث يمكن أن يخفى عليه وجوب صوم رمضان، فلا يكفر.

ومن ترك صوم يوم واحد من شهر رمضان متعمداً كسلاً، فقد أتى بكبيرة من كبائر الذنوب، ويجب عليه القضاء والتوبة، وحُكي في ذلك الإجماع.

○ بم يثبت دخول شهر رمضان؟

١- برؤية الهلال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِيَ ^(١) عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين" ^(٢)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "تراءى الناس الهلال، فأخبرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أني رأيته فصامه، وأمر الناس بصيامه" ^(٣)

فيكفي في ثبوت دخول رمضان شهادة عدل واحد، وهو مذهب

(١) أي حيل بينكم وبينه.

(٢) - رواه البخاري ومسلم.

(٣) - رواه أبو داود، وابن حبان، والطبراني.

الشافعية، والحنابلة، وطائفة من السلف.

ومن رأى هلال رمضان وحده، ولم يشهد برؤيته، أو شهد ولم تقبل شهادته، يصوم بناءً على رؤيته، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة، وهو قول الظاهرية، وعليه أكثر أهل العلم، لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

اتفاق المطالع واختلافها:

إذا رأى أهل بلد الهلال لا يجب الصوم على الجميع مع اختلاف المطالع، وإنما يجب على من رآه أو كان في حكمهم، وهذا قول الشافعية، وهو قول طائفة من السلف، واختاره الصنعاني، وابن عثيمين، رحم الله الجميع؛ وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقول النبي ﷺ: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته" (١).

٢- إكمال شعبان ثلاثين يوماً:

إذا لم تثبت رؤية هلال رمضان في التاسع والعشرين من شعبان، فإننا نكمل شعبان ثلاثين يوماً.

(١) - تقدم تخرجه.



عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غبّي عليكم [أي خفي عليكم]، فأكملوا عدة شعبان ثلاثين " ^(١).

○ حكم صوم الثلاثين من شعبان احتياطاً لرمضان:

لا يجوز لأحد صوم الثلاثين من شعبان؛ احتياطاً لرمضان، إلا إن وافق صوماً كان يصومه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقدّموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه " ^(٢)

○ هل يجوز الصيام بالحساب الفلكي ؟

لا يجوز العمل بالحساب الفلكي، ولا الاعتماد عليه في إثبات دخول رمضان، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال: " لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم، فاقدروا له " ^(٣)

(١) - رواه البخاري ، ومسلم .

(٢) - رواه البخاري ، ومسلم .

(٣) - رواه البخاري .

○ بم يثبت خروج شهر رمضان ؟

١- رؤية هلال شوال:

عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب " أنه خطب الناس في اليوم الذي يُشك فيه فقال: ألا إني جالست أصحاب رسول الله ﷺ وسألتهم، وإنهم حدثوني أن رسول الله ﷺ قال: " صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، وانسكوا لها، فإن غم عليكم، فأكملوا ثلاثين، فإن شهد شاهدان، فصوموا وأفطروا " (١)

وفيه عدم قبول شهادة الواحد على رؤيته هلال شوال.

٢- إكمال رمضان ثلاثين يوماً:

إذا لم يُرَ هلال شوال، وجب إكمال شهر رمضان ثلاثين يوماً.
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان، فقال: " لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غمَّ عليكم فاقدروا له " (٢)

والمراد بقوله: " فاقدروا له ": أكملوا العدة ثلاثين، كما فُسر في

(١) - رواه النسائي.

(٢) - رواه البخاري ومسلم.



رواية أخرى، وعموم النص ؛ يعم شعبان، رمضان.

○ ركن الصوم:

الإمساك عن المفطرات من أكل وشرب وجماع، ونحوها، من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

قال تعالى: ﴿ فَالْتَمَنَ بَشِيرُهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]

وقال رسول الله ﷺ: " كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم؛ فإنه لا يؤذن حتى تطلع الفجر " (١)

○ شروط الصوم:

١- الإسلام

يشترط الإسلام في وجوب الصوم، وصحته؛ فلا يجب الصوم على الكافر، ولا يصح منه إن أتى به.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا

(١) - رواه البخاري ، ومسلم.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٨١

يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ [التوبة: ٥٤].

فإذا كانت النفقات لا تُقبل منهم لكفرهم، مع أن نفعها متعدّد،
فالعبادات الخاصة، كالصوم، أولى ألا تقبل منهم، وإذا لم تقبل
منهم، فإنها لا تصح. (١)

٢- البلوغ

وهو شرط وجوب، فعن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:
"رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى
يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل" (٢)

○ فائدة: صوم الصبي:

إذا كان الصبي يطبق الصوم دون وقوع ضررٍ عليه، فعلى وليه أن
يأمره بالصوم؛ ليتمرن عليه ويتعوّده، فعن الرُّبَيْع بنت مُعوذٍ رضي الله عنها،
قالت: "أرسل النبي ﷺ غداةَ عاشوراء إلى قُرى الأنصار: من أصبح
مفطراً، فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم، قالت: فكنا
نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العِهن" (٣)

(١) - الشرح الممتع لابن عثيمين.

(٢) - رواه البخاري معلقاً، وأحمد وأبو داود، والترمذي وغيرهم.

(٣) - رواه البخاري.



[العهن: الصوف الملون]

وفي لفظ: " ونصنع لهم اللعبة من العهن، فنذهب به معنا، فإذا سألونا الطعام، أعطيناهم اللعبة تلهيهم، حتى يُتِمُوا صومهم " (١)

٣- العقل:

ويشترط العقل في وجوب الصوم وصحته، للحديث المتقدم وفيه: " وعن المجنون حتى يعقل "

مسألة: إن أفاق المجنون أثناء نهار رمضان، لزمه أن يمسك بقية اليوم، وهو قول الحنفية، ورواية أحمد، واختاره ابن تيمية، وابن عثيمين.

مسألة: المجنون إذا أفاق لا يلزمه قضاء ما فاته زمن الجنون، سواء قل ما فاته أو كثر، وسواء أفاق بعد رمضان أو في أثنائه، وهذا مذهب الشافعية والحنابلة، وهو اختيار ابن المنذر، وابن حزم، وابن باز، وابن عثيمين.

مسألة: من نوى الصوم، وأغمي عليه واستوعب الإغماء جميع نهاره، فإنه لا يصح صومه، وعليه قضاء هذا اليوم، وهو قول جمهور

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٨٣

الفقهاء من المالكية، والشافعية والحنابلة، وحكى ابن قدامة الإجماع على ذلك.

٤- الإقامة:

وهو شرط وجوب، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]

٥- الطهارة من الحيض والنفاس:

وهو شرطٌ في صحة الصوم بإجماع أهل العلم، وعليه فيحرم الصوم فرضه ونفله على الحائض والنفساء، ولا يصح صومهما وعليهما القضاء.

مسألة: حكم تناول المرأة حبوب منع الحيض من أجل أن تصوم الشهر دون انقطاع:

إذا ثبت أن لحبوب منع الحمل أو الحيض أضراراً على المرأة، فإن عليها اجتناب تناولها، ومع ذلك إذا تناولت مثل هذه الحبوب وانقطع حيضها صح صومها.

٦- القدرة على الصوم:

فلا يجب الصوم إلا على القادر لقوله تعالى: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].



٧- النية في الصوم:

وهي شرط صحة اتفاقاً في سائر الطاعات، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى " (١)

مسألة: يشترط تبييت النية من الليل قبل طلوع الفجر، وهو قول جمهور أهل العلم،

ففي حديث حفصة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: " من لم يبيت الصوم قبل الفجر، فلا صيام له " (٢)

مسألة: وهل يشترط ذلك كل ليلة ؟

اشترطه الجمهور لعموم الحديث، وقياساً على الصلوات الخمس.

وقيل: أن ما يشترط فيه التابع، تكفي النية في أوله، فإذا انقطع التابع لعذر يبيحه، ثم عاد إلى الصوم، فإن عليه أن يجدد النية، وهو مذهب المالكية واختاره ابن عثيمين، كما أن النية إذا لم تقع في كل ليلة حقيقة، فهي واقعة حكماً، لأن الأصل عدم قطع النية.

(١) - رواه البخاري ، واللفظ له ، ومسلم.

(٢) - رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي واللفظ له.

مسألة: حكم تبيت النية من الليل في صيام التطوع:

لا يشترط في صيام التطوع تبيت النية من الليل، عند جمهور الفقهاء، لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: "دخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فقال: هل عندكم شيء؟ فقلنا: لا، قال: فإني إذا صائم" ^(١)

ويُشترط لذلك ألا يكون قد تناول شيئاً من المفطرات بعد الفجر.

○ سنن الصوم وآدابه

١- تعجيل الفطر

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" ^(٢)

٢- يستحب الإفطار على رطب، فإن لم يوجد فعلى تمر، فإن لم يوجد فعلى ماء:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه البخاري، ومسلم.



يُصَلِّي عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُن رُطَبَاتٍ فَتُمِيرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تُمِيرَاتٍ، حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ " (١)

٣- وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ:

مَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ:
" ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " (٢)

فَائِدَةٌ: وَلَيْسَ مَعْنَى تَعْجِيلِ الْفِطْرِ أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ عَلَى الطَّعَامِ
وَيُضَيِّعَ صَلَاةَ الْمَغْرَبِ فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ فَرَّطَ فِي وَاجِبٍ وَوَقَعَ فِي
الْمَحْظُورِ

٤- السَّحُورُ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " تَسَحَّرُوا ؛ فَإِنْ فِي
السَّحُورِ بَرَكَةٌ " (٣)

فَهُوَ:

- مَعُونَةٌ عَلَى الْعِبَادَةِ.

- فِيهِ مَخَالَفَةٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ.

(١) - رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ .

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ .

(٣) - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ .

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب، أكلة السحر " (١)

٥- يُسن للصائم تأخير السحور ما لم يخش طلوع الفجر:

عن أنس رضي الله عنه، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه حدّثه: " أنهم تسحروا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قاموا إلى الصلاة، قلت: كم بينهما؟ قال: قدر خمسين آية " (٢)

فائدة: ويحصل السحور بكل مطعوم أو مشروب، ولو كان قليلا.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " السحور أكله بركة، فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء " (٣)
وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " نعم سحور المؤمن التمر " (٤)

مسألة: ماذا لو أذن المؤذن وطعام المتسحر أو شربه في فمه، أو في يده؟

(١) - رواه البخاري، ومسلم.

(٢) - رواه البخاري ومسلم.

(٣) - رواه أحمد.

(٤) - رواه أبو داود، وابن حبان، والبيهقي في السنن الكبرى.



عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده، فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه" (١)
 ٦- وينبغي على الصائم اجتناب المعاصي؛ فإنها تجرح الصوم، وتنقص الأجر.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: "من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه" (٢)
 كما أنه حرٌّ بالصائم الذي امتنع عن المباحات من المفطرات، وابتعد عن جميع المحرمات، أن يكون ديدنه الاشتغال بالطاعات، كقراءة القرآن الكريم، وكثرة الذكر، والدعاء، والإحسان إلى الآخرين، وغير ذلك.

كما ينبغي على الصائم إن سابه أحداً أو قاتله، أن يقول جهراً: إني صائم.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: "وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإنه سابه أحداً أو قاتله، فليقل: إني امرؤٌ صائم" (٣)

(١) - رواه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه الألباني.

(٢) - رواه البخاري.

(٣) - رواه البخاري ومسلم.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٨٩

○ من يباح لهم الفطر:

١- المريض

قال تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]

واعلم أنه:

إذا كان المريض يضر بالصائم، وخشي الهلاك بسببه، فالفطر عليه واجب، وهذا مذهب جمهور أهل العلم؛ لكن من مرض مرضاً يسيراً لا يؤثر فيه الصوم، ولا يتأذى به، مثل الزكام أو الصداع اليسيرين، وما أشبه ذلك، فلا يحل له أن يفطر، باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة.

مسألة: حكم المريض مرضاً يرجى برؤه:

إذا أفطر من كان به مرض يرجى برؤه ثم شُفي، وجب عليه قضاء ما أفطره من أيام؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]



مسألة: حكم المريض مرضاً لا يرجى برؤه:

إذا أفطر من كان به مرض لا يرجى برؤه، كأن يكون مرضه مزمنًا، فإنه يطعم عن كل يوم مسكينًا، باتفاق المذاهب الأربعة للآية.

٢- المسافر:

لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: " أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبل كانت لي أخذت، فوافقته وهو يأكل، فدعاني إلى طعامه، فقلت: إني صائم، فقال: أدن أخبرك عن ذلك، إن الله وضع عن المسافر الصوم، وشطر الصلاة " (١)

مسألة: حكم صوم المسافر الذي لا يشق عليه الصوم:

الصوم في حقه أفضل، وهو قول الجمهور؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: " كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان في يوم

(١) - رواه أحمد والترمذي والنسائي وحسنه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

٩١

شديد الحر، حتى إن أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائمٌ إلا رسول الله ﷺ، وعبد الله بن رواحة" (١)

لكن إذا شق الصوم على المسافر، بحيث يكون الفطر أرفق به، فالفطر في حقه أفضل.

مسألة: حكم صوم من سفره شبه دائم:

يباح الفطر لمن كان سفره شبه دائم، كسائقي الطائرات والقطارات والشاحنات، ونحوهم، إذا كان له بلد يأوي إليه، وهذا اختيار ابن تيمية، وابن عثيمين، رحم الله الجميع.

مسألة: إذا أفطر المسافر، وجب عليه قضاء ما أفطر من أيام:

لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة: ١٨٤.

مسألة: حكم فطر المسافر إذا كان سفره بوسائل النقل المريحة:

يباح الإفطار للمسافر، ولو كان سفره بوسائل النقل المريحة، سواء وجد مشقة أو لم يجدها.

(١) - رواه البخاري، ومسلم.



٣- الكبير والعجوز:

يباح الفطر للشيخ الكبير، والمرأة العجوز، اللذين لا يطيقان الصوم؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ البقرة: ١٨٤.

٤- الحامل والمرضع:

يباح للحامل والمرضع الفطر في رمضان، سواء خافتا على نفسيهما أو على ولديهما، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: "إن الله تبارك وتعالى وضع عن المسافر شطر الصلاة، وعن الحامل والمرضع الصوم، أو الصيام" (١).

مسألة: ماذا على الكبير والعجوز والحامل والمرضع بعد الفطر؟

يجب على هؤلاء الأربعة كما يجب على المريض الذي لا يرجى برؤه، أن يطعموا عن كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة

(١) - رواه أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٩٣

لا يستطيعان أن يصوما؛ فليُطعمان مكان كل يوم مسكيناً^(١)، وعنه قال: إذا خافت الحامل على نفسها، والمرضع على ولدها في رمضان، يفطران ويُطعمان مكان كل يوم مسكيناً ولا يقضيان صوماً^(٢)

○ ما يفسد الصوم ويوجب القضاء:

١- تناول الطعام والشراب عمداً: لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]

وما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: "يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي"^(٣).
وليعلم من وقع في ذلك أنه قد ارتكب كبيرة من الكبائر فعليه القضاء والتوبة.

مسألة: من أكل أو شرب ناسياً، فلا شيء عليه، ويتم صومه:
عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "من نسي وهو صائم،

(١) - رواه البخاري.

(٢) - عزاه الألباني في الإرواء إلى الطبراني وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) - رواه البخاري، ومسلم.



فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه" (١)

مسألة: من أفطر ظاناً أن الشمس قد غربت، ثم تبين له أنها لم تغرب، فإنه يلزمه الإمساك، ولا قضاء عليه على الصحيح، لأنه عمل بغلبة الظن:

واختاره ابن تيمية، وابن القيم، وابن عثيمين، رحمهم الله.
فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: "أفطرنا على عهد رسول الله ﷺ في يوم غيم، ثم طلعت الشمس" (٢)
لكن من أكل شاكاً في غروب الشمس، فإنه يأثم، ويجب عليه القضاء.

مسألة: من تسحر بعد طلوع الفجر خطأ، فصومه صحيح، ولا قضاء عليه، وهو قول طائفة من السلف، واختاره ابن تيمية، وابن عثيمين، لحديث أسماء بنت أبي بكر المتقدم.
٢- إخراج المني (الاستمنا):

والاستمنا اصطلاحاً: إخراج المني ؛ استدعاءً للشهوة بغير جماع، سواء أخرجه بيده، أو بيد زوجته أو بغير ذلك.

(١) - رواه البخاري، ومسلم.

(٢) - رواه البخاري.

من استمنى في نهار رمضان وأنزل، فقد فسد صومه، وعليه القضاء، والتوبة، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة.

لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يقول الله عز وجل: الصوم لي، وأنا أجزي به؛ يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي" (١)

ومثله من باشر أو قبل أو لمس فأنزل، ومثله من كرر النظر فأنزل.

مسألة: من نام فاحتلم في نهار رمضان، فصومه صحيح، إجماعاً، نقله: ابن حزم، وابن عبد البر، وابن رشد، والنووي، وابن تيمية.

٣- الاستقاء:

من استقاء متعمداً، فقد أفطر؛ ويلزمه القضاء، بخلاف ما إذا غلبه القيء فلا شيء عليه.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "من ذرعه القيء، فلا قضاء عليه، ومن استقاء، فعليه القضاء" (٢)

٤- خروج دم الحيض والنفاس:

من حاضت أو نفست أثناء نهار رمضان، فقد فسد صومها،

(١) - رواه البخاري، ومسلم.

(٢) - رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه الألباني.



ويلزمها قضاؤه.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "...أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟" ^(١)

ولا يلزمها إمساك باقي اليوم ذهب إلى ذلك الجمهور.

٥- الردة:

من ارتد في أثناء الصوم، بأن سبَّ الدين، أو استهزأ بآيات الله، بطل صومه إجماعاً نقله ابن قدامة، والنووي.

٦- نية الإفطار:

من نوى الإفطار في نهار رمضان، فقد أفطر، وإن لم يتناول شيئاً من المفطرات، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما الأعمال بالنيات" ^(٢)

مسألة: هل الحجامة تفسد الصوم؟

الحجامة لا تفسد الصوم على الصحيح وهو مذهب الجمهور، فعن ابن عباس رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم اخْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَاخْتَجَمَ

(١) - رواه البخاري واللفظ له، ومسلم.

(٢) - رواه البخاري واللفظ له، ومسلم.

وَهُوَ صَائِمٌ" (١)

مسألة: هل الحقنة الشرجية تفسد الصوم ؟

الصحيح من مذهب العلماء أن ذلك لا يفسد الصوم، وكذلك التحاميل، والقطرات، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وذلك لما يأتي:

- أن الحقنة لا تغذي، بل تستفرغ ما في البدن.

- ولأن الصوم أحد أركان الإسلام، ويحتاج إلى معرفته المسلمون، فلو كانت هذه الأمور من المفطرات، لذكرها الرسول ﷺ، ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة، ولنقل إلينا.

- أن الأصل صحة الصوم، حتى يقوم دليل على فساد.

○ ما يفسد الصوم، ويوجب القضاء والكفارة:

الجماع:

من جامع في نهار رمضان ترتب على فعله ما يلي:

١- بطل صومه.

٢- تجب عليه التوبة لانتهاكه حرمة الصيام بارتكاب هذه الكبيرة.

(١) متفق عليه.



٣- يجب صوم يوم مكانه على الرجل والمرأة.

٤- تجب الكفارة على الرجل، وكذلك المرأة إلا أن يكون قد أكرهها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، هلكتُ قال: "مالك؟" قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، فقال: هل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا، فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيها تمر - والعرق: المكتل - فقال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: خذ هذا فتصدق به، فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك ^(١)، وعند ابن ماجه: "وَصُمُّ يَوْمًا مَكَانَهُ"

مسألة: حكم صوم من وطئ في الدبر:

من وطئ في الدبر، أفطر، وعليه القضاء والكفارة، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة؛ وذلك لأنه وطءٌ؛ فأفسد صوم رمضان، وأوجب الكفارة؛ لأنه يوجب الحد كالجماع.

(١) - متفق عليه.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٩٩

○ ما يكره للصائم:

١- المبالغة في المضمضة والاستنشاق:

عن لقيط بن صبرة رضي الله عنه، قال: " قلت: يا رسول الله، أخبرني عن الوضوء، قال: أسبغ الوضوء، وبالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائماً " (١)

٢- الوصال:

يكره الوصال في الصوم، وهو مذهب الجمهور، من الحنفية والمالكية والحنابلة، ووجهه عند الشافعية، وعليه أكثر أهل العلم، لحديث أبي سعيد رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: " لا تواصلوا، فأياكم إذا أراد أن يواصل، فليواصل حتى السحر، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله؟ قال: إني لست كهيتكم؛ إني أبيت لي مطعم يطعمني، وساق يسقيني " (٢)

فالنهى في الحديث محمول على الكراهة؛ لأن النهي وقع رفقا ورحمة وشفقة على الأمة.

٣- القبلة والملامسة وما شابههما لمن تتحرك شهوته عند ذلك:

(١) - رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

(٢) - رواه البخاري.



وينخشى على نفسه من الوقوع في الحرام، سواء بالجماع في نهار رمضان، أو بالإنزال، وهذا باتفاق المذاهب الأربعة، ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أن رجلاً سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المباشرة للصائم، فرخص له، وأتاه آخر فسأله، فنهاه فإذا الذي رخص له الشيخ، والذي نهاه شاب " (١)

○ ما يباح للصائم:

١- تأخير الجنب، والحائض - إذا طهرت - الاغتسال إلى طلوع الفجر:

عن عائشة وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُدركه الفجر، وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم " (٢)

وتقاس الحائض على الجنب بجامع وجوب الاغتسال على كل.

٢- المضمضة والاستنشاق:

يباح للصائم المضمضة والاستنشاق في غير الوضوء، من غير المبالغة كما مر.

(١) - رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) - رواه البخاري.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٠١

٣- اغتسال الصائم وتبرده بالماء:

عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: "لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعرج، يَصُبُّ الماء على رأسه وهو صائم، من العطش، أو من الحر" (١)

٤- ذوق الطعام عند الحاجة:

كمعرفة استواء الطعام أو مقدار ملوحته، ونحو ذلك.
عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: "لا بأس أن يُتَظْعَم القدر، أو شيء" (٢).

٥- التطيب وشم الروائح:

واختاره ابن تيمية، وابن باز، وابن عثيمين؛ إذ ليس هناك دليل معتمد يمنع من ذلك.

٦- استعمال الصائم للسواك:

سواء كان قبل الزوال أو بعده، وهو اختيار ابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني، وقول جمع من أهل العلم؛ لعموم الأحاديث الواردة في

(١) - رواه أحمد، ومالك واللفظ له، والنسائي.

(٢) - أورده البخاري في صحيحه، معلقاً بصيغة الجزم ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه.



استحباب السواك ولم يُسْتَنْ منها الصائم من غيره.

٧- استعمال الصائم معجون الأسنان:

لكن ينبغي الحذر من نفاذه إلى الحلق، وهو قول ابن باز، وابن عثيمين، وذهب إلى هذا مجمع الفقه الإسلامي.

٨- الاكتحال:

وهو اختيار ابن تيمية، والشوكاني، وابن باز، والعثيمين، والألباني ؛ وذلك لأن العين ليست منفذاً للجوف.

٩- استعمال قطرة العين وقطرة الأذن، والتحاميل:

الأصل إباحة ذلك، ولو كان شيءٌ منها محرماً، لبينه الله أو رسوله، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٤٦]

○ مسائل متعلقة بالقضاء:

١- التابع في القضاء:

لا يجب التابع في قضاء رمضان باتفاق المذاهب الأربعة، وعليه أكثر أهل العلم، لعموم قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٌ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فأطلق الله تعالى القضاء ولم يقيد.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١٠٣

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: " لا بأس أن يفرق " (١)

٢- حكم تأخير قضاء رمضان إلى ما قبل دخول رمضان الآخر:

يجوز قضاء الصوم على التراخي في أي وقت من السنة، بشرط ألا يأتي رمضان آخر، وهو مذهب الأئمة الأربعة، وفي المبادرة خير.

عن أبي سلمة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: " كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل برسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢)

٣- تأخير قضاء رمضان بغير عذر حتى دخول رمضان آخر:

من أخر قضاء رمضان حتى دخل رمضان آخر، عليه القضاء والتوبة، وهو اختيار ابن حزم والشوكاني، وابن عثيمين، وهو قول بعض السلف.

٤- حكم صيام التطوع قبل قضاء صيام الفرض:

لا يجب أن يقضي المرء ما عليه قبل صيام التطوع إن كان الوقت متسعاً وهذا قول الجمهور؛ إلا أن يكون صيام الست من شوال، لأن

(١) - رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم.

(٢) - متفق عليه.



النبي ﷺ قال: " من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر " (١)

٥- قضاء الصوم عن الميت الذي أخره لعذر:

من كان عليه صوم واجب، ولم يتمكن من القضاء لعذر حتى مات، فلا شيء عليه، ولا يجب الإطعام عنه، ولا الصيام، باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة؛ وذلك لأنه حق لله تعالى، وجب بالشرع، وقد مات من وجب عليه قبل إمكان فعله، فسقط إلى غير بدل كالحج.

٦- قضاء الصوم عن الميت الذي أخره لغير عذر:

من مات وعليه صوم واجب، سواء كان نذر أو كفارة، أو عن صوم رمضان، وقد تمكن من القضاء، ولم يقض حتى مات، فلوليه أن يصوم عنه استحباباً.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: " من مات وعليه صيام، صام عنه وليه " (٢)

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه البخاري، ومسلم.

المعينات على عمل الصالحات

اعلم أَخِيَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِمْ تقواه والانشغال بطاعته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١).

وامتحانًا من الله تعالى لهم، سَلَّطَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَفُوسِهِم الْأَمَارَةَ بالسوء ومن شياطين الإنس والجن ما يُزِينُ لَهُمُ الْمَخَالَفَةَ ويدعوهم إليها، وَحَفَّ سَبْحَانَهُ طَاعَتَهُ بِالْمَكَارِهِ وَمَخَالَفَتَهُ أَمْرَهُ بِالشَّهَوَاتِ، ليرى سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ يَقْبَلُ عَلَيْهِ بِإِرَادَةٍ وَاخْتِيَارٍ، وَمَنْ يَلْهُو فِي بَحَارِ الشَّهَوَاتِ وَيَسْرَحُ فِي أَوْدِيَةِ الْمَلَذَاتِ فَيَنْسَى نَفْسَهُ وَالْغَايَةَ مِنْ خَلْقِهِ.

ولذلك كان لابد لمريد النجاة من وسائل، تعينه على الطاعة وتثبتته على العبادة:

١- الاستعانة بالله عز وجل:

وتلك أكبر المعينات وأعظمها على الإطلاق.

فلاستعانة بالله خير معين، والركون إلى غير الله أكبر مهين، فمن



أعانه الله فهو الموفق المعان، ومن خذله الله فهو المخذول المهان.
قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "العبد محتاجٌ في كل وقت إلى الاستعانة بالله على طاعته وتثبيت قلبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله" (١)
ولأن حاجة العبد إلى الاستعانة بالله حاجةٌ ماسّة، جمع تعالى بين العبادة والاستعانة في فاتحة الكتاب في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥.

وقال موسى لقومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٢٨ [الأعراف: ١٢٨].
وقال ﷺ: "أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز... " (٢)

وكان ﷺ إذا غزا قال: " اللهم أنت عضدي وأنت نصيري وبك أقاتل " (٣)

فيا من تريد التوفيق لعمل الآخرة، يا من تطلب تذليل الصعاب التي تحول بينك وبين السير الجميل إلى الله، حقق الاستعانة فإن بها

(١) قاعدة في المحبة.

(٢) - رواه مسلم.

(٣) - رواه الترمذي وأبو داود وسنده صحيح.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٠٧

يَحْسِنُ السَّيْرَ وَتَقْوَى الْإِبَانَةَ.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يقضي عليه اجتهاده

٢- استشعار ثواب القربات:

وكذلك من أعظم المعينات على عمل الصالحات: استشعار ثواب القربات، فإن المتأمل يرى أن الترغيب والترهيب، بذكر ما أعدّه الله لأوليائه من نعيم، وما أعدّه لأعدائه من عذاب أليم، أحد الموضوعات الرئيسة التي اشتملت عليها النصوص من آيات وأحاديث فتأمل:

ما الذي جعل أبا طلحة يتصدق بأحب أمواله إليه يبرّحاء؟ يدخل على النبي ﷺ وهو يقول: إن أحب أموالي إليّ بريحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله!! الذي دفعه إلى ذلك، الذي شجعه على ذلك، استشعاره لموعد الله بالأجر والثواب، وهكذا جاءت النصوص كثيرة تؤكد هذا المعنى العظيم.

تأمل:

قول النبي ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون



كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده" (١)

قول النبي ﷺ: "من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله في ظله" (٢).

قول النبي ﷺ: "من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّتْ عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" (٣)

قول النبي ﷺ: "من بنى لله مسجداً، بنى الله له بيتاً في الجنة مثله" (٤).

قول النبي ﷺ: "من ثابر على ثنتي عشرة ركعة من السنة، بُني له بيت في الجنة: أربع قبل الظهر وركعتين بعده، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر" (٥)

٣- المجاهدة:

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: " النفس مجبولة على حب الهوى،

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه مسلم.

(٣) - رواه البخاري.

(٤) - رواه الشيخان.

(٥) - رواه الترمذي وابن ماجه والنسائي وصححه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٠٩

فافتقرت لذلك إلى المجاهدة والمخالفة..^(١)

فقد اتفق العلماء والحكماء على أنه لا سبيل إلى السعادة في الدنيا والآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]

وقال عليه السلام: "المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل"^(٢)

قال ابن بطال: "جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل"^(٣)

فالنفس عدو منازع، يجب على المرء مجاهدتها، وحين يفلح المرء في ذلك فإن إتيان الطاعات يتحول إلى لذة ونعيم، وعندها لا يجد المرء في القيام بها كلفةً ومشقة.

كما قال ثابت البناني: "كابدت القرآن عشرين سنة، ثم تنعمت به

(١) صيد الخاطر.

(٢) - رواه أحمد وسنده صحيح.

(٣) - فتح الباري / ابن حجر.



عشرين سنة" (١)

فلأنس بالله واللذة، إنما يحصلان من المداومة على المكابدة مدة طويلة.

ومما يعين على المجاهدة: تركيز النفس بعاقبة الانغماس في الشهوات.

قال قتادة: إن الرجل إذا كان كلما هوى شيئاً ركبته، وكلما اشتهى شيئاً أتاها، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى، فقد اتخذ إلهه هواه (٢)
وقال يحيى بن معاذ: " من أرضى الجوارح في اللذات، فقد غرس لنفسه شجر الندامات " (٣)

فيا مجتهداً في تحصيل نعيم المولى، اجعل أعمال الآخرة هي الأولى، وجاهد نفسك وفق الشرع وإياك أن تهمل قيادتها فتسوقك إلى نار تلظى.

٤- قصر الأمل:

العلم بقرب الرحيل وسرعة انقضاء حياة المرء، من أنفع الأمور

(١) - إحياء علوم الدين.

(٢) - جامع العلوم والحكم / ابن رجب.

(٣) - ذم الهوى / ابن الجوزي.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ



للقلب، ومن أعظم العون على التعبد، ففي صحيح مسلم يقول ﷺ: "إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فإنها تذكر الآخرة".

قال الأوزاعي: "من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير" (١).

وقال علي بن أبي طالب (عليه السلام): إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: طول الأمل واتباع الهوى، أما طول الأمل فإنه يُنسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق" (٢).

وقال الحسن: "ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل" (٣).

فيا ناصحاً لنفسه أقصر الأمل واستعد للحساب قبل حلول الأجل.

٤- معرفة فقه العمل للآخرة:

ولا سبيل إلى هذا الفقه إلا بثلاثة أمور:

الأول: المسارعة إلى العمل: كما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨].

قال ابن بطال: "الخير ينبغي أن يُبادر به، فإن الآفات تعرض،

(١) - سير أعلام النبلاء / الذهبي.

(٢) - حفظ العمر / ابن الجوزي.

(٣) قصر الأمل، لابن أبي الدنيا.



والموانع تَمْنَعُ، والموت لا يُؤْجَلُ، والتسوية غير محمود (١)

الثاني: المداومة على العمل:

ففي صحيح مسلم، سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ فقال: "أدومه وإن قل"، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عمله ﷺ ديمماً"، وفي صحيح مسلم، قالت: "وكان إذا عمل عملاً أثبته"

وحتى يتمكن العبد من الاستمرار في الطاعة، والمداومة عليها، أمر النبي ﷺ بالاقتصاد في العبادة، ونهى عن التشديد على النفس فيها.

ففي البخاري، قال النبي ﷺ: "القصد القصد تبلغوا"

وعند مسلم: دخل النبي ﷺ فإذا بحبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: لزينب تصلي، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به، فقال: حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد"

وكذلك فإن فهم طبيعة النفس من أعظم معينات العبد على مداومة العمل الصالح، إذ لها إقبال وإدبار، كما قال ﷺ: "لكل عابد شرة، ولكل شرة فترة، فإمّا إلى سنة وإمّا إلى بدعة، فمن كانت فترته

(١) - فتح الباري / ابن حجر.

قُطُوفُ إِيمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١١٣

إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك" (١)
ومما يعين على المداومة: قضاء ما فات وعدم تفويته بالكلية،
وفي ذلك يقول ﷺ: "من نام عن حظه من الليل أو عن شيء منه،
فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كُتِبَ له كأنما قرأه من
الليل" (٢)

وفيه دليلٌ على أن كل وِرْدٍ من قول أو فعل، يفوت الإنسان، أنه
يثبت له أجره إذا قضاها كاملاً.

الثالث: تنويع العمل:

تنويع الطاعات سبيل قويم إلى المداومة عليها، ويظهر ذلك
جلياً لما سأل النبي ﷺ أصحابه: "من أصبح منكم اليوم صائماً؟
قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا،
قال: فمن أطعم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم
اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل
الجنة" (٣)

(١) - رواه أحمد وسنده صحيح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) - رواه مسلم.



حتى يكون أجمل رمضان

في رمضان منح عزيمة وفرص جسيمة يُكْرِم الله بها عباده، من هذه المنح:

تفتيح أبواب الجنان، وتغليق أبواب النيران، وسلسلة الشياطين.
ففي الصحيحين قال ﷺ: "إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسُلسلت الشياطين"

قال الإمام القرطبي - بعد أن رجَّح حمل هذا الحديث على الظاهر -: "فإن قيل: كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيراً، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟

فالجواب أنها إنما تُغل عن الصائمين الصوم الذي حوِّظ على شروطه، وروعت آدابه.... والمقصود تقليل الشرور منهم فيه، وهذا أمرٌ محسوس، فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم ألا يقع شرٌّ ولا معصية، لأن ذلك أسباباً غير

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١١٥

الشياطين، كالنفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، والشياطين
الإنسية..^(١)

○ نعود إلى المنح العظيمة والفرص الجسيمة:

١- " فتحت أبواب الجنة ": وهذا معناه أن أبواب الجنة، ليست
مفتوحة طوال العام، وإنما في أوقات معينة فقط، ومن هذه الأوقات
شهر رمضان المكرم.

إنه أثر عظيمٌ رائع، ينعكس على حياتنا اليومية بالسكينة والهدوء
والسعادة والأمل والرضا واليقين.

٢- " وغلقت أبواب جهنم ": وهذا يدل كذلك على أن أبواب
النار ليست مغلقة طوال العام، وإنما في أوقات معينة فقط، ومنها
شهر رمضان المكرم.

٣- " وسلسلت الشياطين ": وسلسلتها يُعطي المسلم في رمضان
حالة إيمانية عالية تعينه على طاعة الله، فقد تم حبس أشد أعدائه عنه.
إن هذه المنح تمنحنا إحساساً بأن هذا الأيام المقبلة أيام عظيمة
للغاية، كان النبي ﷺ يهنئ أصحابه لهذه الأيام، كان إذا دخل رمضان

(١) - من شرح سنن النسائي للسيوطي والسندي.



قال لهم: "إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِّمها فقد حُرِّم الخير كله ولا يُحرم خيرها إلا محروم" (١)
تأمل قوله ﷺ: "قد حضركم" يريد أن يقول: استعدوا له استعداداً متميزاً، ادخلوا عليه دخولاً متميزاً، اجعلوا أداءكم فيه متميزاً، حتى يكون أجمل رمضان.

حتى يكون أجمل رمضان لابد أن تضع لنفسك فيه أهدافاً:

الهدف الأول: أن يغفر الله لك.

الهدف الثاني: أن تحصل التقوى.

الهدف الثالث: أن تصلح ذات البين.

الهدف الرابع: أن تتقرب من الله.

الهدف الأول: أن تكون أهلاً لمغفرة الله:

فالله تعالى بكرمه ومنه يريد أن يتوب علينا، يريد أن يغفر لنا ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧] ولذلك من الله علينا بالعطايا، ومنحنا الأسباب التي بها يغفر لنا، من هذه العطايا:

(١) - رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١١٧

صيام رمضان وقيامه: ففي الصحيحين قال ﷺ: " من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه " وفيهما كذلك: " من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه "

قال الحافظ ابن حجر: " والمراد بالإيمان: الاعتقاد بحق فرضية الصيام، والاحتساب: طلب الثواب من الله " (١)
 ○ كيف يكون صيامنا وقيامنا إيمانًا واحتسابًا؟
 ونجد الجواب في توجيهات الرسول ﷺ لنا.

أما الصيام، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: الصيام جُنَّةٌ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل إني صائمٌ مرتين، والذي نفسي بيده لخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها "

○ فقبول الصيام والفوز بثمرته يتوقف على أمرين:
 الأول: أن يكون إرضاءً لله وابتغاءً لمثوبته.

(١) - فتح الباري.



الثاني: أن يُعَلِّمَ صاحبه الأخلاق والسلوك.

ولهذا أصدر النبي ﷺ بياناً شديداً قائلاً: "رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ" (١)

وأما القيام، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَفُؤُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وسئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن قيام النبي ﷺ رمضان فقالت: " ما كان رسول الله يزيّد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً..." (٢)

إذاً يكون الصيام إيماناً واحتساباً إذا حجبتك عن المعاصي ومنعتك من الشر وكان له أثرٌ جميلٌ على سلوكك وخلقك، ويكون القيام إيماناً واحتساباً إذا تلذذت فيه بالقرآن واستمتعت فيه بالوقوف بين يدي الله.

وَصَغَ نَصَبَ عَيْنِكَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: " رَغِمَ أَنْفٌ رَجَلَ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يَغْفَرَ لَهُ..." (٣)

(١) - رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) - رواه البخاري.

(٣) - رواه الترمذي وصححه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تُسَوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١١٩

الهدف الثاني: أن تحصل التقوى:

حتى يحبك الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ حتى يكون الله معك: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ حتى يتقبل الله منك: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ حتى تدخل الجنة: ﴿ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ اَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿

المتقون قوم اتصفوا بصفات يرضاها الله، والتمزموا أعمالاً يحبها الله، فاستحقوا أن يكافئهم الله بهذا اللقب المشرف: ﴿ الْمُتَّقُونَ ﴾

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

المتقون قوم التزموا بالصدق في القول والعمل: " ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

المتقون قوم موفون بعهودهم: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

فاجعل تقوى الله في رمضان هدفك لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٢٠﴾

الهدف الثالث: أن تصلح ذات الين، بينك وبين الناس، وبين الناس بعضهم البعض:

من أكبر المشكلات التي يقع فيها كثير من المسلمين: الخصام والهجر والتباغض والتنافر، وذلك على مستوى الأسر والعائلات والجيران وزملاء الدراسة والعمل.

عمل ضخم وهام يقوم به الشيطان الرجيم وأتباعه من الجن والإنس، التفريق بين المسلمين، وإفساد ذات بينهم، كما قال ﷺ: "إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت" (١)

فأسمى أمانى الشيطان الرجيم وأتباعه من الجن والإنس: الإفساد في الأرض والتفريق بين الناس، ومما يؤسف له أن الشيطان يجد من يستجيب له ويعاونه ويسهل عليه مهمته، ولهذا كان إصلاح ذات البين - الإصلاح بين المتخاصمين والمفترقين، الإصلاح بين

(١) - رواه مسلم.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٢١

المتشاحنين والمتباغضين - أثقل في الميزان يوم القيامة من كبار الأعمال الصالحة، كما قال ﷺ: " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: " صلاح ذات البين، فإن فساد البين هي الحالقة " (١)

فاجعل من أهدافك في رمضان: إصلاح ذات البين، ذات البين مع من بينك وبينهم خصومة، وذات بين المتخاصمين ممن تعرفهم.

الهدف الرابع: أن تقترب من الله:

فمن كان الله قريباً منه، فليس ضده أحد، ومن كان الله بعيداً عنه، فكل شيء ضده، حتى الكلاب في الطرقات والذباب في الهواء!

اجعل شعارك في رمضان: " وعجلت إليك رب لترضى "

وحتى تعرف معنى القرب من الله وفضله وثمرته، تأمل هذا الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: " إن الله تعالى قال: " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضه عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش

(١) - رواه الترمذي وأحمد وابن حبان وصححه الألباني.



بها، ورجله التي يمشى عليها، وإن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذه".

فإذا أردت أن تكون قريباً من الله فأول ما ينبغي أن تقوم به أن تؤدى فرائض الله، وإذا كنت تفعل ذلك في غير رمضان، وهذا هو الأصل، ففي رمضان جمّل الفرائض وحسّنها، ثم زدها بأداء النوافل وأكثر منها، واعلم أن أعظم ما يقرب العبد من الله: الصلاة له، وذكره، وكلامه.

أما الصلاة: فقد قال ﷺ: " الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليكثر " (١)

وقال ﷺ: " اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.. " (٢)

وأما الذكر: فقد قال ﷺ: " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " (٣)

(١) - رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني.

(٢) - رواه مسلم.

(٣) - متفق عليه.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٢٣

وأما القرآن: فهو كلام الله عزوجل، فهل شيء أحب إليه من كلامه؟

قال خباب بن الأرت: " تقرب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه " (١)

أجمل رمضان: هو الذى تشاق إليه وتنتظره.

أجمل رمضان: هو الذى تخرج منه مُجِبّاً للطاعات.

أجمل رمضان: هو الذى يعطيك شحنة إيمانية تكفي لدفعك إلى الطاعة، وإبعادك عن المعصية، أحد عشر شهراً كاملاً.

أجمل رمضان: هو الذى تخرج منه وقد شعرت أن الله قد رضي عنك.



(١) - سير أعلام النبلاء.



لصوص الصيام

إن الله تعالى شرع الصيام، لتزود من الإيمان، ويتضاعف رصيدنا من الحسنات والإحسان.

إن الله تعالى منّ علينا برمضان، لنجدد العهد مع الله، لنزكي نفوسنا لله، لنصلح قلوبنا ابتغاء مرضاة الله.

إننا نصوم لنعيش جواً إيمانياً جميلاً، نتقل فيه من الغفلة إلى الإيمان واليقظة، نتقل فيه من التقصير إلى التشمير، ومن الكسل إلى الجد والعمل، ومن الإدبار إلى الإقبال، ومن الإحجام إلى الإقدام، ومن البخل إلى العطاء، ومن الانفلات إلى الانضباط.

لكنّ لصوصاً كبيرة، ظاهرة وخطيرة، تسرق صيامنا وتضيع علينا ذلك كله، وتحول بيننا وبين الوصول إلى الله، فإذا لم يتببه العبد إلى هذه اللصوص خسر كل شيء وخرج من رمضان مفلساً مغبوناً مأزوراً غير مأجور.

○ الذنوب والمعاصي:

أتى رمضان ليغتسل العاصي من المعاصي، لا ليبارز ربّه بالمعاصي.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١٢٥

أتى رمضان ليقول للعالم كلاً: أنا شهر العتق من النار، فأين الفرار إلى العزيز الغفار؟
الذنوب تطمس على القلوب، فلا يستطيع المسلم بسببها أن يصل إلى ما يريد.

قال عز من قائل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وقال ﷺ: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة، نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الرّان الذي ذكر الله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١)، أي بسبب ذنوبهم ومعاصيهم صارت حيلولة بينهم وبين البر.

وأظهر المعاصي التي تسرق الصيام وتحرم أجره:

أ- القلب الملوّث.

ب- اللسان المنفلت.

ت- العين الزائغة.

(١) - رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع.



ث-الأذن السماعية.

فالقلب الملوث: هو ذاك القلب المشحون بالآهواء، هو القلب الذي مَسَّ صاحبه العُجب وفتك به الحسد وأهلكته البغضاء والشحناء، هو القلب الذي حجبه التعصب، وأرداه سوء الظن بالمسلمين.

ورحم الله عبداً امتلأ قلبه إيماناً و يقيناً، فانعكس ذلك على جوارحه، طلباً لكل خير وهرباً وبعداً عن كل شر، فإن " في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب " (١)

واللسان المنفلت: هو ذاك اللسان الذي يخوض في الباطل والمرء والجدال بغير حق، هو ذاك اللسان الذي يهتك أعراض المسلمين بالغيبة والكذب والنميمة والتدخل فيما لا يعني والسخرية وإفشاء الأسرار والوعود الكاذبة، هو اللسان الذي لا يستحي صاحبه من أن يقول على الله بغير علم.

فإذا ما أطلق العبد العنان للسانه، فإنه يأتي على رصيده الرضائي فيذرّه قاعاً صفصفاً.

(١) - رواه الشيخان مرفوعاً من حديث النعمان بن بشير.

فرحم الله عبداً قال خيراً فغنم، وسكت عن شر فسلم، " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت " (١)
 قال ميمون بن مهران: "إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب" (٢)
 وعن أبي العالية قال: " الصائم في عبادة ما لم يغترب، وإن كان نائماً على فراشه " (٣)

والعين الزائغة: هي تلك العين التي أطلق صاحبها لها العنان تشاهد ما تشاء وتنظر إلى ما تشاء بلا وازع من تقوى، ولا رادع من خشية، مع أن شهر الصيام فرصة عظيمة للمبتلى بذلك كي يتغلب على بلواه هذه، ويقهر دواعي الشهوة لديه، ويتدرب على عبادة غض البصر، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١]، فإذا أطلق العبد بصره بلا حساب فسد صومه، وخرج من الموسم المبارك ببضاعة مزجاة.

(١) - رواه البخاري ومسلم مرفوعاً.

(٢) - لطائف المعارف.

(٣) - لطائف المعارف.



والأذن السماع: هي تلك الأذن التي لا تبالي بسماع المنكر، من موسيقى وصخب وغناء وطرب وغيبة ونميمة ووشاية ونحوها.

فرحم الله عبداً امثلاً هذه الآية: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصاص: ٥٥].

إذا لم يكن في السمع مني تصوُّن
وفي بصري غُضٌّ وفي منطقي صمتٌ
فحظي إذاً من صومي الجوع والعطش
فإن قلت إني صمت يومي فما صمتُ
○ رفقاء السوء:

الذين يصرفونك عن طاعة الله، ويشغلونك عن العمل الصالح، ويلهونك عن فعل الخير، ويضيعون وقتك - وهو رأس مالك - دون أن تكتسب فيه ثواباً أو تزداد فيه ربحاً، فضلاً عن أن يضيع هذا الوقت فيما حرّم الله.

الرفيق بهذا المعنى رفيق سوء، يسرق صيامك، ويضيع طاعتك، فيتحتم على العاقل أن يبتعد عنه.

قال عزّ من قائل: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أُتَّخَذْتُ

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٢٩

مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧﴾ يَوَدُّكَ لِيَتَنَبَّيَ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٩﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وقال ﷺ: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل" (١)
 فليحذر العاقل، وليتنبه المؤمن، ولا يغامر بدينه ولا يخاطر بأخلاقه ونفسه، ولا يصاحب من ليس مرضياً في دينه وخلقه.
 فأنت في الناس تقاس بالذي اخترت خليلاً
 فاصحب الأخيار تعمل وتنل ذكراً جميلاً
 فكم من إنسان تحطم وانتكس !! كم من إنسان تهدمت حياته
 وانسلخ من دينه وقيمه وأخلاقه !!
 كم من إنسان نسي ربه، وعق والديه، وانغمس في الملذات
 والشهوات، وتاه مع المسكرات والمخدرات، وأضاع الصلوات،
 وفشل في حياته العملية والزوجية وغيرها بسبب الصحبة السيئة !!
 وفي المقابل كم من إنسان سعد في الدنيا والآخرة بسبب الصحبة
 الصالحة.

(١) - رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه الألباني.



○ الكرة (معبود العصر)

كرة القدم:

تحتلُّ صدر حياتنا وحديثها في كلِّ فَمٍّ

وهي الطريق لمن يريد مكانة فوق القمم

أرأيت أشهر عندنا من لاعبي كرة القدم

أهمَّ أشدَّ توهجاً أم نار برق في علم

لهم الجباية والعطاء بلا حدود والكرم

لهم المزايا والهبات وما تجود به الهمم

الناس تسهر عندها مبهورة حتى الصباح

وإذا دَعَى داعي الصلاة وقال حي على الفلاح

غط الجميع بنومهم فوز الفريق هو الفلاح

فوز الفريق هو السبيل إلى الحضارة والصلاح

صارت أجَلُّ أمورنا وحياتنا هذا الزمن

ما عاد يشغلنا سواه في الخفاء وفي العلن

أكلت عقول شبابنا ويهود تجتاح الأمم

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٣١

وهذا لعمر الله العبودية لغير الله، وتعظيم غير الله، عشرون
مجنوناً يجرون خلف قطعة من الجلد، وملايين البشر يتفرجون،
وعن صلاتهم غافلون، وعن ذكر ربهم لاهون، وهم في غفلة
معرضون، ولمكر الله آمنون، ﴿أَقَامَنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا
يَئْتِيَانَا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَلَمْ يَأْمُرِ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا ضُجَى وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

لص كبير هجم على حياتنا خاصة في رمضان، سرقت الذكر،
والقرآن، وصلاة التراويح، وربما صلاة الجماعة، وإنا لله وإنا إليه
راجعون.

عندما تكون الرياضة وسيلة لغاية سامية فنعمًا هي، ولكن عندما
تتحول الوسيلة إلى غاية فتلك هي المصيبة، ولذلك أقول:

مشاهدة الكرة أو ممارستها ليس ذلك حرامًا، بشروط:

- ١- ألا يضيع ذلك واجبًا كالصلاة، ومجالس العلم.
- ٢- أن يحافظ فيها على ستر العورات.
- ٣- ألا يصحب ذلك عصبية، أو سوء خلقٍ قلبي أو فعلي.
- ٤- أن يعدّها العبد من الترفيه المباح.



٥- ألا يكون ذلك عادة الإنسان فيضيع عمره.

○ التلفزيون، والقنوات الفضائية، ومواقع التواصل الاجتماعي:

سُرَّاق محترفون، يسرقون روحانيات الشهر وفرص الأجر، ويفتحون أبواباً للوزر.

شهر رمضان الذي عاشت فيه الأمة انتصاراتها، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن العظيم محفوظاً بحفظ الله، شهر رمضان الذي فضله الله على سائر الشهور، أمسى في زماننا عند كثير من الناس محطةً للهو واللعب ومعاقرة الشهوات والإسراف فيما حَرَّمَ الله.

رمضان الذي يأتي في السنة مرة واحدة، كفرصةٍ للمفّرطين في أمور دينهم للعودة إلى الطريق السوي ومحاسبة النفس، صرنا نقضيه أمام اللهو والعبث، صرنا نقضيه أمام ما يدعو إلى الرذيلة من أفلام آثمة وسهرات فاضحة وملابس خليعة وعبارات مثيرة وأوضاع يندى لها الجبين.

فمع أذان المغرب رقصٌ ونقصٌ باسم فوازير رمضان.

ومع أذان العشاء وصلاة التراويح، مسلسلات وحلقات لا نهاية لها.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٣٣

وبعد التراويح تبدأ كافة فتن الأرض في برامج سهرات رمضان.
وعند اقتراب صلاة الفجر تطل علينا تلك القنوات بحسن
الختام، القرآن الكريم !!
فحق للغيور أن يتساءل:

ما هذا البلاء؟ كيف يرضى ذو الشهامة من الرجال وذوات العفة
من النساء لأنفسهم ولأطفالهم ولفتياتهم وفتيانهم هذا الغناء المدمر؟
أين ذهب الحياء؟ أين ضاعت المروءة؟ أين الغيرة في بيوت
هيات للناشئة أجواء الفتنة وجرتّها إلى الفحشاء جرّاً؟

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور:
١٩].

ماذا نجني من وراء ذلك إلا:

- ١- زعزعة عقيدة التوحيد في النفوس المسلمة.
- ٢- ترك الصلوات أو تأخيرها عن وقتها.
- ٣- الدعوة إلى التبرج والاختلاط.
- ٤- إطلاق السمع والبصر إلى ما حرم الله.
- ٥- إشاعة الفاحشة في المجتمعات المسلمة.



○ الإسراف في الطعام والشراب:

إن مما يُحزن القلب أن كثيراً من الناس فهموا رمضان على غير المراد منه، وعاشوه بطريقة غير التي أرادها الله !!

فبدلاً من أن يكون رمضان شهرَ طاعة وعبادة وصبر، صار شهر التخمّة والسمنة وأمراض المعدة !!

بدلاً من أن يكون شهر إحساس بالفقراء والجوعى، صار شهر الانغماس في الملذات والشهوات !!

بدلاً من أن يستعدون لرمضان بعمل البرامج النافعة التي بها تُرفع درجاتهم وتُغفر خطاياهم وذنوبهم، صاروا يستعدون له بألوان المطاعم والمشروبات التي لا يعرفونها في غير رمضان، وهذا بلا ريب ينافي الحكمة من مشروعية الصيام !!

وما أصدق قول بعضهم: " إنكم تأكلون الأبطال، وتشربون الأساطال، وتنامون الليل ولو طال وتزعمون أنكم أبطال ".

فالمقصود أن على الناس أن يكونوا معتدلين في مطاعمهم ومشاربهم في رمضان.

قال عز من قائل: ﴿ يَبْنَىٰ ۤءَادَمَ ۖ خُذُوا زِينَتَكُمْ ۖ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿٢٦﴾ [الأعراف: ٣١].

" ما ملأ آدمي وعاءَ شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صُلْبُه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ".
○ السهر:

لص كبير وعادة قبيحة نشأ عليها الصغير ودرج عليها الكبير، فكثير من الناس جعل الليل للسهر واللهو واللعب والزيارات، وجعلوا النهار للنوم والراحة والاسترخاء، فخالفوا بذلك نواميس الطبيعة التي خلقها الله، وضيّعوا بذلك مصالح عديدة دينية ودنيوية، ووقعوا كذلك في الحرج والإثم إن كان سهرهم على المنكرات والمعاصي.

فليالي الشهر الكريم عند أولئك المحرومين من القيام والبكاء من خشية الله والتذلل بين يديه، انقلبت إلى ليالي ميّنة ملئت باللهو والعبث، أما نهاره فتحوّل من شهر الصوم والصلاة والصبر والذكر والقرآن إلى شهر النوم والكسل والخمول وإضاعة الصلوات !!
قال الحسن البصري: " جعل الله شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون " (١)

(١) - لطائف المعارف : ابن رجب الحنبلي.



حال السلف في رمضان

وأقصد بالسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، أو أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخير والفضل. ففي الصحيحين قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"

فهؤلاء هم الذين حملوا راية الدين، ونشروه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، لم يكونوا يبحثون عن راحة البال ولا عن الجلوس في القصور، ولكنهم بحثوا عن الحق وحملوا هم هذا الدين.

حين تنظر في أحوالهم تتذكر قول الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

فاتباع منهجهم في كل شيء في العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق والسلوك، مطلب أساسي وبُغية كل إنسان يريد أن يصل إلى الحق.

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١٣٧

وكما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " (١)

تعال أُخَيَّ ننظر أحوال السلف في رمضان محاولين التشبه بهم والسير على منهاجهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

أولاً: حال السلف مع الصيام.

ثانياً: حال السلف مع القيام.

ثالثاً: حال السلف مع القرآن.

رابعاً: حال السلف مع الإنفاق في سبيل الله.

خامساً: حال السلف مع الاعتكاف.

○ أولاً: حال السلف مع الصيام:

من تأمل حال السلف في صيامهم رأى العجب العجاب، واستشعر تقصيرنا في طاعة الله، فالسلف رَحِمَهُ اللَّهُ كان صيامهم عن كل شيء سوى الله تعالى، فصامت جوارحهم عن معصية الله، فصام اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش، وصامت العينان عن

(١) - رفقاً أهل السنة بالسنة : العباد ، نقلاً عن الاعتصام للشاطبي.



النظرة المحرمة وعن التطلع إلى ما في أيدي الغير، وصامت الأذنان عن سماع الغيبة والنميمة والأغاني ونحوها، وصامت اليدين عن لمس الحرام أو البطش بالحرام، وصامت القدمان عن المشي إلى الحرام.

أما من صام عن الطعام والشراب فقط فهذا صام عن الحلال، فما صام ولا عرف الصيام، فقد قال النبي ﷺ: "رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر" (١)

قال جابر رضي الله عنه: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء" (٢)

وقال عمر بن الخطاب: "ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكن من الكذب والباطل واللغو والحلف"

وقال أبو ذر: "إذا صمت فتحفظ ما استطعت" وقال غيره: "الصائم في عبادة ما لم يغترب" (٣)

(١) - صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) - رواه البخاري.

(٣) - لطائف المعارف.

○ ثانيًا: حال السلف مع القيام:

فمع أن رمضان شهر القيام إلا أنك تجد كثيرًا من الناس يحافظون على صلاة القيام ويملؤون المساجد، ثم ليالي قلائل ولا تراهم، ولم يكن هذا من هدي السلف الصالح عليهم السلام، فقيام الليل دأب الصالحين وتجارة المؤمنين، ففي الليل يخلون برهم ويتوجهون إلى خالقهم، يشكون إليه أحوالهم ويسألونه من فضله.

قال سعيد بن المسيّب رحمته الله: إن الرجل ليصلي بالليل، فيجعل الله في وجهه نورًا، يحبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط، فيقول: إني لأحب هذا الرجل.

قيل للحسن البصري رحمته الله: ما بال المتهجدين بالليل أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره.

أخذ الفضيل بن عياض رحمته الله بيد الحسن بن زياد فقال له: يا حسين: ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: كذب من ادعى محبتي فإذا جنّ الليل نام عني!!
أليس كل حبيب يخلو بحبيبه؟! ^(١)

(١) - حلية الأولياء / أبو نعيم



وعن مالك عن عبد الله بن أبي بكر قال: سمعت أبي يقول: كنا ننصرف في رمضان من القيام، فيُستعجل الخدم بالطعام، مخافة الفجر. (١)

أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميم الداري رضي الله عنهما أن يقوموا بالناس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتد على العصي من طول القيام وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر " (٢) واعلم رحمك الله أنك إذا فرطت في قيام رمضان فأنت محروم، حرمتك ذنوبك وخطاياك، فجدد التوبة، وأعلِ الهمة، واستشعر الأجر، واستعن بالله.

يا رجال الليل جِدُّوا رُبَّ داع لا يُـرَدُّ
لا يقـوم الليل إلا من له عزم وجِدُّ
○ ثالثاً: حال السلف مع القرآن:

من رأى السلف وأحوالهم مع القرآن وجد عجباً ولم لا ؟ وهو شهر القرآن، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ولهذا كان جبريل يلقي النبي ﷺ في كل ليلة

(١) أخرجه مالك في الموطأ.

(٢) - رواه البيهقي من حديث السائب بن يزيد.

يدارسه القرآن " (١)

واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى حقوقهما وصبر عليهما، وُفِّي أجره بغير حساب.

قال كعب: ينادي يوم القيامة منادٍ إن كل حارث يُعطي بحرثه ويُزاد، غير أهل القرآن والصيام يُعطون أجورهم بغير حساب (٢)

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بلبيله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون" (٣)

وقال وهيب بن الورد: قيل لرجل: ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرُنْ نومي (٤) وأنشد ذو النون المصري:

(١) - رواه مسلم.

(٢) - لطائف المعارف / ابن رجب.

(٣) - أخلاق حملة القرآن / الآجري.

(٤) - لطائف المعارف / ابن رجب، وصفة الصفوة / ابن الجوزي.



منع القرآن بوعدده ووعيده مُقل العيون بليها لا تهجع
فهِمُوا عن الملك العظيم كلامه فهمًا تَزَلُّ له الرقاب وتخضع
وقد كان للسلف رحمهم الله اجتهدًا ملاحظ في قراءة القرآن في
رمضان بل لم يكونوا يشتغلون فيه بغيره.

كان الأسود بن يزيد: يختم القرآن في كل ليلتين، وفي غير رمضان
في كل ست ليال.

كان الزهري إذا دخل رمضان يقول: إنما هو قراءة القرآن وإطعام
الطعام.

قال ابن الحَكَم: كان مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ، إذا دخل رمضان يَفْرُ من قراءة
الحديث، ومجالسة أهل العلم، ويُقبل على قراءة القرآن.

قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع
العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وقال سفيان: كان زييد الياامي إذا حضر رمضان أحضر
المصاحف، وجمع إليه أصحابه. (١)

قال ابن رجب الحنبلي: " وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في

(١) - انظر: لطائف المعارف.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١٤٣

أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتناماً للزمان والمكان ^(١)، وهذا قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة.

○ رابعاً: حال السلف مع الانفاق في سبيل الله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود من الريح المرسلة ^(٢)

قال الإمام الشافعي رحمته الله: "أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم" ^(٣)

وسئل بعض السلف: لم شرع الصيام؟ قال: ليزوق الغني طعم الجوع، فلا ينسى الجائع. ^(٤)

(١) - انظر: لطائف المعارف.

(٢) - رواه مسلم.

(٣) - لطائف المعارف / ابن رجب.

(٤) - السابق.



ويقول يونس بن يزيد: كان ابن شهاب إذا دخل رمضان، فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام" (١)

وكان ابن عمر لا يُفطر إلا مع اليتامى والمساكين، وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه، فلم يفطر في تلك الليلة (٢)

○ خامساً: حال السلف مع الاعتكاف:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، ويجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها" (٣)

"وظل النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله" (٤)

وكان السلف رضي الله عنهم إذا دخلت العشر رفعوا الهمة إلى أعلاها وبذلوا الطاقة إلى متنهاها، كيف لا والعشر آخر السباق، فالسعيد من اغتنم مواسم العمر قبل ذهابه وحاسب نفسه قبل قراءة كتابه.

كانت عائشة رضي الله عنها تعتكف مع النبي ﷺ، وكانت لا تدخل بيتها

(١) - مجالس رمضان العثيمين.

(٢) - بين يدي رمضان / محمد أحمد اسماعيل المقدم .

(٣) - رواه مسلم.

(٤) - رواه البخاري عن عائشة.

قُطُوفُ إِيمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٤٥

إلا لحاجة الإنسان، وكانت تقول: إن كنت لأدخل البيت للحاجة،
والمريض فيه، فما أسأل عنه إلا وأنا مارة" (١)



(١) - رواه مسلم



لا للتهاون بالصيام

عَلِمْنَا أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَفَرَضَ مِنْ فَرَائِضِ الدِّينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فَثَمَرَةُ الصِّيَامِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا شَرَعَهُ اللَّهُ: التَّقْوَى، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَجْنُونَ هَذِهِ الثَّمَرَةَ، لِأَنَّهُمْ تَهَاوَنُوا بِالصِّيَامِ، فَلَمْ يُقَدِّرُوهُ قَدْرَهُ، وَلَمْ يَعْطُوهُ حَقَّهُ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشِيرَ فِي هَذِهِ السُّطُورِ إِلَى أَشْهَرِ مَظَاهِرِ التَّهَانِ بِالصِّيَامِ، حَتَّى نَجْتَنِبَهَا، فَجَنِّي الثَّمَرَةَ، وَنَحْصِدِ الزَّرْعَ.

○ ضعف الشوق للصيام:

لَأَنَّ الْمَتَوَقَّعَ مِنَ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ مَتَنَظِّرٌ هَذَا الشَّهْرَ بِفَارَغِ الصَّبْرِ، مَتَأَهِّبٌ لَهُ غَايَةَ التَّأَهُّبِ، فَرَحٌّ بِوَصُولِهِ، فَيَشْمُرُ حَيْثُئِذٍ عَنْ سَاعَةِ الْجَدِّ، وَيَجْتَهِدُ فِي شَتَى أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، لِيَحْظِيَ بِثَمَرَاتِهِ، وَيُنَالَ نَفَحَاتِهِ.

إِذَا رَمَضَانَ أَتَى مُقْبِلًا فَأَقْبَلَ بِالْخَيْرِ يَسْتَقْبِلُ لَعَلَّكَ تَخَطُّهُ قَابِلًا وَتَأْتِي بِعَذْرِ فَلَا يَقْبَلُ

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٤٧

كم ممن أُمِّل أن يصوم هذا الشهر، فخانته أمله، فصار قبله إلى ظلمة القبر، كم من مستقبل يوماً لا يستكمل، ومؤمِّل غداً لا يدركه، إنكم لو أبصرتكم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

فضع نصب عينيك قول النبي ﷺ: "افعلوا الخير دهركم، وتعرّضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحاتٍ من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده" (١)

يا من طالت غيبته عن مولاه، قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرباحة.

من لم يربح في رمضان ففي أي وقت يربح، ومن لم يقترب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح.

○ دخول رمضان على أنه موسم عبادة وسينقضي !!

فهؤلاء لا يعرفون الله إلا في رمضان، فإذا جاء رمضان رأيتهم ركعاً سجداً، فإذا انسلخ رمضان عادوا إلى ما كانوا عليه من المعاصي، وأولئك القوم ذكروا للإمام أحمد والفضيل بن عياض فقالا: "بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان" (٢)

(١) رواه الطبراني في "الكبير" عن أنس، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وحسنه الألباني في "الصحيحة"

(٢) - مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار / عبد العزيز السلطان.



وهذا بلا شك تصوّر خاطئ، لأن رمضان محطة، نتزود منها ما يكفينا إلى رمضان الذي يليه، فهل يعقل أن يدخل رجل بسيارته محطة بنزين فلما امتلأ تنك السيارة خرج وأسكبه على باب المحطة؟!

هكذا الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان فقط يدخلونه بهذه النفسية !! ثم يخرجون منه، وكأنهم ما دخلوا، وهذا هو الغبن العظيم، والخُسران الكبير، فقد قال ﷺ: " رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ أُنْسَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ " (١)

○ عدم استحضار النية في الصيام:

لأن أول شيء يبتغيه المسلم بصيامه وجه الله تعالى، ففي الحديث المرفوع: " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " (٢)

وعليه مع هذا الاحتساب أن يبيت النية للصيام، لقوله ﷺ: " من

(١) صحيح سنن الترمذي.

(٢) - متفق عليه.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٤٩

لم يَبَيِّتِ الصَّيَامَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ " وفي لفظ: " من لم يُجْمَعِ الصَّيَامُ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ " (١)

○ صَوْمُ الْبَطْنِ عَنِ الْمَطْعُومَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ دُونَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ:

فَتَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَمْتَنِعُونَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، لَكِنْ لَا يَجِدُونَ حَرَجًا فِي سَمَاعِ الْمُنْكَرَاتِ، وَارْتِكَابِ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالسَّخَرِيَّةِ، وَهَذَا دِيْدَنَهُمْ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِالصَّيَامِ الْمَطْلُوبِ.

لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِنْ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا، فَلَا يَرِفْثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ أَمْرٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقِلْ إِنْ صَائِمٌ " (٢)
فَالصَّوْمُ مَدْرَسَةٌ وَتَهْذِيبٌ وَتَأْدِيبٌ وَخُلُقٌ وَسُلُوكٌ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " لَيْسَ الصَّيَامُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَكِنْ مِنَ الْكُذْبِ وَالْبَاطِلِ وَاللَّغْوِ وَالْحَلْفِ " (٣)

(١) - رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) - متفق عليه.

(٣) - ابن أبي شيبة في المصنف.



وقال عبيدة السلماني: " اتقوا المفطرين الغيبة والكذب " (١)

○ عدم تعلم أحكام الصيام:

وهذه مخالفةٌ كبيرة لا يتنبه لها الكثير من الناس، فكيف يصح لمسلم قولٌ أو عملٌ بدون علم؟ فالعلم قبل القول والعمل، قال تعالى: ﴿ فَأَعْلَمْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، وقال ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (٢)

ومما اتفق عليه المسلمون: "أن كل عبادة تلبس بها المسلم وجب عليه تعلم فقهاها"

على من يجب الصيام؟ ما مفطراته؟ ماذا يباح للصائم؟ ما آداب وسنن الصيام؟ كل هذا وغيره، مما يجب علينا تعلمه قبل دخول شهر الصيام.

○ المطبخ الرمضاني:

أكثر الناس جعلوا رمضان موسماً سنوياً للموائد الزاخرة والأطعمة الفاخرة، ولو عقلوا لعلموا أن ضيفهم عزيز، سريع الارتحال، يوشك ألا يعود، فاستغلوه في صلاح قلوبهم وتركية

(١) - ابن أبي شيبة في المصنف.

(٢) - رواه ابن ماجه وسنده صحيح

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١٥١

نفوسهم، لا يارضاء بطونهم وأجسادهم.

قال ﷺ: " كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة " (١)

فلإسراف يتنافى مع المقصود من الصيام.

○ تضييع الأوقات:

ظن كثير من الناس أن شهر رمضان شهر الكسل والدعة والراحة، فترى من ينام إلى الظهر، وآخر لا يقوم إلا عند العصر، وآخر يتفنن في تسلية صيامه، فهل هؤلاء صاموا وشعروا بلذة العبادة؟

إن رمضان ضيفٌ خفيفُ الظل سريعُ الانقضاء، سرعان ما يدخل علينا ويخرج من بين أيدينا بسرعة عجيبة، ولهذا وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فالفلاح كل الفلاح في الاستفادة الكبرى من هذا الشهر الكريم، والمنافسة فيه بالخيرات وإعمارها بالذكر والصلوات، ومعلوم أن الواجبات صارت - بسبب تقصيرنا - أكثر من الأوقات، فسدد وقارب، ولا تحرم نفسك النفحات

(١) - رواه أحمد وغيره وسنده صحيح.



المباركات والساعات الطيبات.

○ عدم وضع برنامج يومي للصائم:

وهذا هو سبب تضييع الأوقات وفوات الطاعات، فالعاقل يجب أن يضع لنفسه برنامجاً عملياً من أول الشهر يسير عليه، ولا يسمح لأحدٍ بخزفه، وبذلك يمكنك الاستفادة من كل لحظة في رمضان. لابد أن تحدد أهدافك وتكتب خططك، وترتب وقتك، حتى يُغفر لك في رمضان، حتى تجني الثمرة من رمضان.

○ عدم الاعتناء بالقرآن:

فينبغي أن يكون لك حالٌ خاصٌّ مع القرآن، لأن رمضان شهر القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:] إذاً لابد أن تجعل من رمضان فرصةً لهداية نفسك بالقرآن. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَشَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

قال الحكم بن أبان عن أبي مكي: " إذا حضر الرجل الموت يُقال للملك: شَمَّ رأسه، فيقول أجد في رأسه القرآن، فيقال: شَمَّ قلبه، فيقول أجد في قلبه الصيام، فيقال: شَمَّ قدميه فيقول: أجد في قدميه

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٥٣

القيام، فيقال: حفظ نفسه فحفظه الله" (١)

○ نَقْرُ صَلَاةِ الْقِيَامِ:

بل إن بعض الناس يبحث عن الأئمة الذين يَنْقُرُونَ الصَّلَاةَ ليصلي خلفهم ! وأدْعُو هَؤُلَاءِ أَنْ يَتَأَمَّلُوا هَذِهِ الْآيَةَ وَذَلِكَ الْحَدِيثُ:

أما الآية، فقول الله تعالى: ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْنَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، أي خاشعين، خاضعين.

وأما الحديث، فقد رواه الشيخان من حديث أبي ساعدة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان رسول الله يزيده في رمضان ولا في غير رمضان على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً..."

والله تعالى يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ١٢]

(١) - لطائف المعارف.



○ تضييع الاعتكاف:

لأن الاعتكاف سنة مؤكدة واطب عليها الرسول ﷺ، وقد هُجرت هذه السنة كما هُجر غيرها في هذه الزمان.

قال الامام الزهري: "عجباً للناس تركوا الاعتكاف ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه، وما ترك الاعتكاف حتى قبض" (١)

فالاعتكاف مدرسة تربوية مستقلة متكاملة، يتخللها كثير من أنواع العبادة والتربية، والتي تعمل على إيقاظ كثيرٍ من الجوانب الحياتية في الانسان، فتضييعه حرمان.



(١) - فتح الباري.

رمضان مدرسة الأخلاق

الصيام مدرسة عظيمة، يكتسب فيها الصائمون حقاً، أخلاقاً عظيمة ويتخلصون من صفات ذميمة، يتعودون فيها على فعل الطاعات واجتناب المحرمات.

فهذه ثمرة الصيام الأساسية وحكمته العلية، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

١ - فالصيام يربي صاحبه على الإخلاص:

وهو رأس الأمر وأساسه وحقيقة الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فالصيام يربي صاحبه على ذلك، فهل يطلع على الصيام إلا الله؟ وهل يجازي عليه إلا الله؟

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، فوالذي نفسي بيده لخلف



فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " قوله: (إلا الصيام فإنه لي) أي عملٌ خالص، ليس فيه رياءٌ ولا حظوظ نفس.

وقال ﷺ: " من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه " (١)

٢- والصيام يربي صاحبه على مجاهدة نفسه في طاعة الله:

فالصائم في جهاد بالنهار صيامًا وبالليل قيامًا، والصائم يكبح جماح نفسه وشهواتها عن الحلال فترة من اليوم، وذلك عونٌ له على أن يمتنع عن الحرام باقي الأوقات، كما قال بعضهم: المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه، جهاد بالنهار على الصيام وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين الجهادين ووفى حقهما وصبر عليهما ووفى أجره بغير حساب، والله تعالى يقول: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٣- والصيام يربي صاحبه على ضبط الشهوات:

شهوات الطعام والشراب والفرج والنظر والكلام والسماع

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١٥٧

وغيرها، كما قال عليه السلام: " كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي " (١)
وفي السنن بسند صحيح: " الصيام جُنة.. أي وقايةٌ من الشهوات وضبطٌ لها.

٤ - والصيام يربي صاحبه على ضبط النفس والتحكم فيها:

فالصائم يقدر على تحمل الأذى والحلم والصفح والدفع بالتي هي أحسن، لأنه يعلم أنه إن لم يقم بهذه الخصال ويتخلق بها فما صام على الحقيقة؛ فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: "... فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث (٢) ولا يصخب، (٣) فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم.. " (٤)

٥ - والصيام يربي صاحبه على الصبر:

فالصائم يجمع في صومه أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على الطاعة

(١) - رواه الشيخان.

(٢) الرفث الكلام الفاحش.

(٣) أي يخاصم أو يصيح.

(٤) - متفق عليه.



من ذكر وتلاوة وصلاة وصدقة ونحوها، والصبر عن المعصية، لأنه يجتنب ما حرم الله، الصبر على قدر الله وهو شعوره بالجوع والعطش وضعف النفس والكسل، ولهذا سُمِّيَ رمضان شهر الصبر، وقد سماه النبي ﷺ كذلك حين قال: " صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر " (١)

فإذا رُزق الإنسان الصبر في شهر الصبر فقد رزق الخير كله، كما قال ﷺ: " وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر " (٢)

٦- والصيام يربي صاحبه على الجود والعطاء والبذل:

ففي الصيام تكثر الصدقات وتزداد الخيرات وتعم النفحات وتخرج الزكوات، ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل يلقاه كل ليلة يدارسه القرآن فَلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود من الريح المرسلة "

ولقد درج على ألسنة الناس أن رمضان شهر الجود.

وقال صلى الله عليه وسلم: " من فطَّر صائماً كان له أجره غير أنه لا

(١) - رواه أحمد والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) - رواه مسلم.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٥٩

يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا" (١)

٧- والصيام يربي صاحبه على العفة:

أليس النبي ﷺ قال: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة، فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " (٢)

فأوضح النبي ﷺ أن الصوم وقاية للصائم وسبيل لعفته، لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والصوم يضيق تلك المجاري ويُذكرُ بالله العظيم، فيضعف سلطان الشيطان ويقوى سلطان الإيمان.

فالصائم ينال هذه الفضيلة، ويسلم من معاطب إطلاق البصر وآفاته؛ فالعين مرآة القلب، وإذا أطلق الإنسان بصره أطلق القلب شهوته، ومن أطلق بصره دامت حسرته؛ فأضرَّ شيء على القلب إرسال البصر؛ فإنه يريد ما يشتدُّ إليه طلبه، ولا صبر له عنه، ولا سبيل إلى الوصول إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه.

ثم إن النظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس - كما جاء في

(١) - رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وصححه الألباني.

(٢) - متفق عليه.



الحديث - وشأنُ السهم أن يسري في القلب؛ فيعمل فيه عمل السم الذي يُسقيه المسموم، فإن بادر واستفرغه وإلا قتله ولا بد، وكذلك النظرة؛ فإنها تفعل في القلب ما يفعله السهم في الرمية، فإن لم تقتله جرحته.

كلُّ الحوادثِ مبداها من النظر ومعظمُ النارِ من مُستَصغِرِ الشرِّ كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوسٍ ولا وتر والمرء ما دام ذا عينٍ يقلبها في أعين الغيد موقوفٌ على سرٍّ مُقلتُهُ ما ضرَّ مهجته لا مرجبًا بسرور عاد بالضرر

٨- والصيام يربي صاحبه على سلامة الصدر:

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يُذهبن وحرَّ الصدر" (١) " (٢)

٩- والصيام يربي صاحبه على العزم وقوة الإرادة والتغيير:

فكم من نفس أقلعت عن الكلام السيء بعد أن تربت وتعودت في هذا الشهر على هجران قبيح القول، وكم من نفس أقلعت عن تعاطي الدخان وما شابهه من المحرمات بعد أن عازمت على تركه

(١) وحرَّ الصدر : حقهه وغيظه.

(٢) - رواه البزار وصححه الألباني في صحيح الجامع.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٦١

وهجره كاملاً في شهر رمضان، وكم من شخص عاد محافظاً على الصلاة مع جماعة المصلين، وكل ذلك وغيره كان في مدرسة الثلاثين يوماً المباركة في هذا الشهر العظيم.

١٠- الصيام يربي صاحبه على اجتناب المعاصي والابتعاد عنها:

لأن ذلك هو الصيام على الحقيقة وقد صرح النبي ﷺ بذلك حين قال كما في صحيح البخاري: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"

١١- الصيام يربي صاحبه على حقيقة الفرح:

فالصائم يتربى على أن أكثر ما يفرح به المؤمن، طاعة الله تعالى والإخلاص له في العبادة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِرْهَمَهُ فَيَذَلِّكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

وقد أوضح النبي ﷺ ذلك حين قال: "للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه" (١)

١٢- الصيام يربي صاحبه على التخلص من الترف والإسراف:

وهذا مطلب شرعي أصيل، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

(١) - متفق عليه.



تُسْرَفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال ﷺ: " كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة " (١)

مع أن أكثر الناس لم يفهم هذا المعنى في الصوم، فتراهم يمتنعون عن الطعام نهائياً، حتى إذا أقبل الليل انقضوا على الطعام بينهم، وأخذوا بنصيبيهم الذي ضاع منهم نهائياً، حتى أصبح رمضان شهر الإسراف، وهذا بلا شك يتنافى مع معنى الصيام.

١٣- الصيام يربي صاحبه على الإحساس بالفقراء والمحتاجين:

وذلك حينما يشعر الصائم بألم الجوع والعطش، فيسارع بمد يد العون إلى مساعدتهم، وجاءت زكاة الفطر لتؤكد هذا الجانب وتبين هذا المعنى.

كما قال ﷺ: " زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات " (٢)

(١) - رواه أحمد والحاكم وغيرهما وحسنه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) - رواه الدار قطني والبيهقي وغيرهما وانظر الإرواء وصحيح الجامع.

أبناؤنا في رمضان

يُعدُّ شهر رمضان حقاً غنيمةً للمربين، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿ البقرة: ١٨٥-١٨٦.

مهمة التربية وبناء النفوس الصالحة ليست مهمة سهلة، بل تحتاج إلى جهد كبير ويقظة تربوية تجعل المربي لا يُفَوِّت موقفاً أو حدثاً أو مناسبة تمر به وبأبنائه، إلا أحسن استغلالها لمصلحة تربيته؛ فالكلمة تفعل في النفس وقت الحدث ما لا تفعله في غيره من الأوقات، وتؤدي إلى ترسيخ المعاني التربوية والعبادات المرتبطة بهذه المناسبة حتى تعود هينة راسخة في نفس الطفل، يشب عليها ولا يتركها طوال حياته.



١ - ضرورة تدريب أبنائنا على أداء العبادات مبكراً:

مرحلة الطفولة هي المرحلة الذهبية لتعليم الطفل والتأثير فيه، لذلك نجد الإسلام يوجه الآباء والأمهات إلى تدريب أطفالهم على امثال الطاعات وأداء الفرائض في طفولتهم، كالصلاة والصيام والحجاب - للبنات - حتى إذا بلغوا سن التميز واطبوا عليها بسهولة ويسر، حيث ألفوا وتعودوا على أدائها بانتظام وأصبحت جزءاً من كيانهم.

وقد جاء عن المربي الأعظم عليه السلام توجيه الصحابة والصحابيات إلى تدريب الصغار على عبادة الصيام، وإعداد الأمهات لِلْعِبِّ يلهونهم بها إذا بكوا جوعاً، فعن الربيع بنت معوذ قالت: " كنا نَصُوم ونُصُوم صبياننا الصغار منهم، ونذهب بهم إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن [الصوف]، فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه، حتى يكون عند الإفطار " (١)

أي أعطيناه هذا الصوف يتلهم به حتى يحين موعد الإفطار. فنبداً مع الطفل بالصوم الجزئي بأن يتعود الإمساك إلى منتصف النهار أو إلى العصر، حتى إذا قوي على ذلك واعتاده انتقل إلى

(١) والحديث في الصحيحين.

مرحلة تالية، كذلك يمكن أن يصوم الطفل يوماً كاملاً ثم يفطر أياماً ليستريح ويزيد في عدد الأيام بعد ذلك تدريجياً.

ومما يعين الطفل على الصيام أن يلتزم بوجبة السحور مع الكبار، على أن نشرح له - ببساطة - أهمية السحور من حيث اتباع سنة الرسول ﷺ، وما فيه من البركة، وأنه من الأسباب التي تُقَوِّي أجسادنا على الصيام.

وإذا اجتاز الطفل فترة الصوم المحددة، كافأناه وشجعناه بزيادة مصروفه مثلاً، أو الثناء عليه، أو منحه الألقاب الحسنة ونحو ذلك.

٢- غرس معاني العطاء والتكافل في نفوس أبنائنا :

عن ابن عباس قال: " كان رسول الله ﷺ "أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة " (١)

شهر رمضان من أجمل المناسبات التي يتعلم فيها الطفل معنى التكافل، والشعور بالمسؤولية نحو الفقير والمسكين، وقلوب

(١) - متفق عليه.



الصغار رقيقة لينة شديدة التأثر، فعندما يرى الأطفال آباءهم وهم يُخرجون صدقاتهم وزكاة فطرهم ويشاركونهم هذا العمل، فسيتعلمون منهم حب الصدقة، والرحمة بالفقراء، ويدركون معنى التكافل وبُغض الأثرة والأنانية، ونذكر الطفل بهذا المعنى ونؤكد له عنده عندما يشعر بالجوع أو العطش، فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أنه جاءه سائل يريد صدقة، فقال لابنه: أعطه ديناراً، فجعله في يده، تدريباً له على ذلك" (١)

٣- ضرورة تربية أبنائنا على تعظيم شعائر الله:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]

وتعظيم الشعائر لا يكون بالإقبال على الطاعات والاستزادة منها فقط، فهذا المعنى مبتور، ولا يكتمل تعظيم الشعائر إلا بتجنب ما حرم الله تعالى، وأن يرى المسلم أن ارتكاب المعصية في الأيام الفاضلة أشد قبحاً وأعظم جرماً منه في غيرها.

ولا يخفى على أحد تلك الحرب المعلنة من الآلة الإعلامية بهدف إفساد الشعائر لا تعظيمها في شهر رمضان المعظم، وتحويل

(١) - صفة الصفوة / ابن الجوزي.

الشهر الكريم من موسمٍ يزداد فيه المؤمن إيماناً إلى أكبر سوق يروج فيه أهل الباطل (الفن) لبضاعتهن، الأمر الذي يختزل معنى تعظيم الشهر الكريم في أذهان الكثيرين في صورة أداء الطاعات دون أن يتلازم معها الانتهاء عن المحرمات؛ ولذلك لا نبالغ إذا قلنا أن المواد الإعلامية الفاسدة التي تبثها الشاشة الصغيرة داخل البيوت تُعدّ التحدي الأكبر الذي يواجهه المربي في رمضان من كل عام، فالمربي هو المسؤول الأول عن وقاية أبنائه من النار بمنع تعرضهم لأسباب دخولها، قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: " اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار " (١)

وليعلم المربي أن مواجهة هذه الفتنة لن تأتي أبداً بإصدار الأوامر، أو نزع الأسلاك والكابلات، لكن تأتي أولاً: بالقدوة الحسنة التي تتمثل في موقف الوالدين الواضح من هذه البرامج، موقفاً حازماً لا يعتريه تذبذب أو روغان، والتعليم بالرفق واللين

(١) - تفسير الطبري.



والمجادلة بالتي هي أحسن ثم بالتفهم.

ثانيًا: تربية الأبناء على مراقبة الله تعالى، وتذكيرهم بالآيات والأحاديث التي تدعم هذا الجانب، مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ومعناه التحذير من أن تسمع ما لا يحل لك، أو تنظر إلى ما لا يحل لك، أو تعتقد ما لا يحل لك، ويردد المربي على أسماعهم من الأحاديث ما يزكي معنى المراقبة، مثل قول النبي ﷺ: " احفظ الله يحفظك "، وقوله ﷺ " اتق الله حيثما كنت "، ونحو ذلك.

ثالثًا: لا بد من تصحيح وبناء فكر سليم لدى الأطفال تجاه الإعلام، وأنه ليس كل ما يُعرض فيه يرضي الله تعالى، أو يصلح للمشاهدة؛ لذلك لا بد أن يكون تعامل المؤمن معه انتقائيًا، فلا يشاهد إلا ما يرضي ربه ويزيد في حسناته.

٤ - تدريب الأبناء في شهر القرآن على تلاوة القرآن وتدبر القرآن.

٥ - تعويد الأبناء على اغتنام العشر الأواخر والاعتكاف وتحري ليلة القدر.



أَبْوَابُ مَفْتَحَةٍ

رمضان فرصة عظيمة للعابدين لاستغلال نهاره بالصيام والعلم والتعليم، وليله بالإطعام والصلاة والدعاء، ومن كان يومه كأمسه فهو مغبون، وكذا من كان رمضان عنده كشعبان فهو مغبون، فينبغي أن يستغل المسلم هذا الشهر المبارك للعمل الصالح وليكون فيه أفضل مما كان قبله، وليكون بعده أفضل مما كان فيه، وهذه أبواب للخير مفتحة، فليكنها مريد الخير في أيام الخير.

١- الدعاء:

وقد كان مجيء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ٦٨١] بين آيات الصيام دليلاً واضحاً على أهمية هذه العبادة في هذا الشهر.

وهو من أعظم العبادات الدالة على افتقار العبد إلى ربه وحاجته إليه في كل حال، وقد سمَّاه الله تعالى عبادة في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ



دَاخِرِينَ ﴿٦﴾ [غافر: ٦]

وسماه النبي ﷺ عبادة، فقال: "الدعاء هو العبادة" ^(١)، وكأنه قصرها عليه، والسر في ذلك أنه العلامة الظاهرة على تعلق القلوب بخالقها، وتوجهها إليه.

إن لم يكن رمضان وقت الدعاء المستجاب ففي أي شهر يكون الدعاء؟

وقال ﷺ: "إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء" ^(٢)، وقال ﷺ: "ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء" ^(٣)، وذلك لدلالته على قدرة الله وعجز الداعي.

وعلى الصائم أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة، التي هي أدعى للقبول والإجابة، كثلث الليل الآخر، وهو وقت التنزل الإلهي، وفي السجود، وعند الأذان، وعند الإقامة، وبينهما، وآخر ساعة يوم الجمعة.

(١) أخرجه أحمد، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني.
(٢) رواه أبو يعلى في "مسنده" عن أبي هريرة، ورواه ابن حبان، وصححه الألباني في "صحيح الجامع".
(٣) رواه أحمد والبخاري في "الأدب" والترمذي والحاكم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع"

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٧١

وعلى الصائم أن يُكثر المسألة، وأن لا يستعظم شيئاً، فكلُّ عظيمٍ
فالله أعظم، وكلُّ كبيرٍ فالله أكبر، ففي الحديث: "إذا سأل أحدكم
فليكثر فإنما يسأل ربه" (١)

قال المُنْأَوِي: "إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فليكثر
الأمانى، فإنما يسأل ربه الذي رباه وأنعم عليه وأحسن إليه، فيُعْظَم
الرغبة ويوسّع المسألة، ويسأله الكثير والقليل حتى شسع النعل، فإنه
إن لم ييسره لا يتيسر، فينبغي للسائل إكثار المسألة ولا يختصر ولا
يقتصر فإن خزائن الجود سحّاء الليل والنهار...." (٢) فإن الله تعالى
قال: ﴿وَسَئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]

وعلى الصائم الذي يأمل إجابة دعائه، أن يكون مأكله ومشربه
حلالاً، لا شبهة فيه فلا يتناول شيئاً اكتسبه بطريق غير مشروع، فإن
النبي ﷺ بيّن: "أن الرجل يمد يده إلى ربه، يا رب، يا رب، ومطعمه
حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب
لذلك" (٣)

(١) صحيح ابن حبان.

(٢) فيض القدير.

(٣) رواه مسلم.



فإن العبد ليقذف باللقمة الحرام في جوفه، ما يُتقبل منه بسببها عمل، ولا يُرفع له بسببها دعاء.

فالمال الحرام، والمكاسب المشبوهة، من أعظم الموانع التي تحول دون قبول الدعاء، بل دون قبول العمل، ومهما أنفق المرء من المال المشبوه، أو تصدق، فلن يقبل منه شيء، فالنفقة الحلال وإن كانت يسيرة يبارك الله تعالى فيها، فإن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً.

٢- إحياء روح القرآن (التدبر):

فليس شيءٌ أنفع للقلب في معاشه ومعاده، وأقربَ إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقهما وأسبابهما، وغاياتهما، ومآل أهلها.

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، فهذا الكتاب فيه خيرٌ كثيرٌ، وعِلْمٌ غزيرٌ، فيه كل هدى من ضلالة، وعِلْمٌ من جهالة، ودواءٌ من كل داء، ونورٌ يُستضاء به في الظلمات، وكنوزٌ عظيمة، وكل حكم يحتاج إليه المكلّفون، وهذا كله لا يمكن استخراجه، إلا إذا تدبّرت آياته، وتوَمَّلَ في معانيه.

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، فإنهم لو تدبّروه لدلّهم على كل خير ولحذّروهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٧٣

الإيمان، وأفندتهم من الإيقان؛ ولأوصلهم إلى المطالب العالية،
والمواهب الغالية ﴿ أَمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَاهَا ﴾ أم قد أغلِقَ على ما فيها من
الشر، وأقفلت فلا يدخلها خير أبداً!

عن حذيفة رضي الله عنه، قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح
البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى يصلي، فقلت: يُصَلِّي بها في
ركعة، فمضَى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل
عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية تسبيح سَبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤالٍ
سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ... " (١)

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: "قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة،
فقرأ سورة البقرة، لا يَمُرُّ بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية
عذاب إلا وقف وتعوذ... " (٢)

هكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن، فهل نقتدي به في قراءته، أم لنا
طريقةٌ غيرُ طريقته؟

قال عبد الله بن مسعود: " لَا تَشْرَوْهُ نَشْرَ الدَّقْلِ وَلَا تَهْدُوهُ هَذَّ
الشَّعْرِ، قَفُّوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ

(١) صحيح مسلم.

(٢) صحيح سنن النسائي.



هَمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ" (١)

وقال مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: " لِأَنَّ أَقْرَأَ: "الْقَارِعَةُ"، و"إِذَا زُلْزِلَتْ"، فِي لَيْلَةٍ، أُرْدِدْهَا وَاتَّفَكَّرْ فِيهِمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبَيِّتَ أَهْدُ الْقُرْآنَ" (٢)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: " إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته، وسماعه، وألقِ سمعك، واخْضُرْ حضور من يخاطبه به من تكلم به منه إليه، فتمام التأثير موقوف على: مؤثر مقتضٍ، ومحلٍ قابل، وشرطٍ لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢٧] " (٣)

٣. العطاء والبذل:

الجود من أعظم مكارم الأخلاق، ورمضان شهر الجود، ومن سابغ جود الله وعظيم كرمه: تفضُّله في هذا الشهر بعتق عباده من النيران، وذلك كل ليلة، كما في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ

(١) أخلاق أهل القرآن.

(٢) الزهد لوكيع.

(٣) مفتاح دار السعادة.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٧٥

قال: "لله عند كل فطرٍ عتقاء" (١)

وكان رسولنا الكريم ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان لا يُسأل عن شيء إلى أعطاه.

وكان جوده يجمع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه: "والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق" (٢)، ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة، فهلا اقتدينا بنبينا ﷺ.

واعلم أن من معالم الجود في رمضان: إطعام الطعام:

قال الله تعالى: ﴿وُطِعْمُونَ أَطْعَامَ عَلَىٰ حَيْهٖ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ۝﴾

(١) صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه البخاري.



فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ [الإنسان: ٨-١٢]، وعن زيد بن خالد الجهني قال: قال ﷺ: "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُنْقَصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ" (١)

وقد كان السلف الصالح يحرصون على إطعام الطعام ويقدمونه على كثير من العبادات، كما قال بعضهم: "لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعاماً يشتهونه أحب إلي من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل" (٢)

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى:

ما أجمل رمضان، وهو يقوّي صلة المؤمن برّبّه، ويرقق قلوب المسلمين، ويقوّي روابط الأخوة بين المؤمنين، ويؤلف بينها، ويزيد أواصر المودة والمحبة، فترى تعاطفهم وتراحمهم فيما بينهم، بصور عديدة، وأشكال فريدة.

ومن ذلك التناصح والتذكير الذي يقوم به المسلمون فيما بينهم،

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني.

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١٧٧

ويعين كل واحد منهم أخاه على نفسه، فتراه يوجهه حين يراه على مخالفة، ويدعوه بالأسلوب الطيب، والطريقة اللطيفة، عملاً بقوله تعالى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]

كما يحث إخوانه على فعل الخيرات، وعمل الصالحات، والاستزادة منها في هذا الشهر الكريم، ابتغاءً للأجر والثواب، فالمؤمن يعي أن فعله هذا ينال به مثل ثواب أخيه الذي دعاه وذكره، كما قال ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً" (١) ويدخل في ذلك كله دعوة من تعرف إلى حضور صلاة الجماعة، والمواظبة على صلاة التراويح، والتصدق على المساكين المحتاجين، وأعمال المعروف والبر، إلى قراءة القرآن، والإكثار من ذكر الله تعالى، وسائر خصال الخير التي تتأكد في مثل هذا الشهر الكريم.

كذلك فإن الصائم قد يعرض له في نهاره ما ينسيه أنه متلبس بعبادة الصيام، فيأكل أو يشرب نسياناً، ففي مثل هذه الحالة يجب عليك أن تذكر أخاك بأنه صائم، فإن المؤمن مرآة أخيه، وتبين له ما

(١) رواه مسلم.



ورد عنه عليه السلام أنه قال: "من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإذا أطعمه الله وسقاه" (١)

وهكذا فإن المؤمن في رمضان ينبغي أن يكون داعية يوجه إخوانه، ويذكرهم ويرغبهم في أعمال الخير والبر، ويقوي صلتهم بخالقهم: ﴿وَعَاوِزُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوِزُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

٥. العمرة في رمضان:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لامرأة من الأنصار: ما منعك أن تحجبي معنا؟ قالت: كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه - لزوجها وابنها - وترك ناضحاً (٢) ننضح عليه، قال: فإذا كان رمضان اعتمر في فيه؛ فإن عمرة في رمضان حجة (٣).

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى



(١) متفق عليه.

(٢) والناضح: يعير يسقون عليه.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

الاعتكاف سنة نبوية ومدرسة تربية

النفوس تحتاج إلى راحة واستجمام من كفاح الحياة ومشاغليها وكروبها، والناس تختلف مشاربهم في وسائل الاستجمام، وأكثر الناس يعتبرون النزهة والسفر والرحلات خير الوسائل التي يروحون بها عن أنفسهم ويسترجعون بها قواهم.

والراشد الناصح يجد أن خير وسيلة يستجم بها ويعيش في رحابها هادئاً مطمئناً، هي ذكر الله تعالى ﴿لَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والسعادة التامة عنده تكون بالإيواء إلى بيوت الله وإحيائها بالاعتكاف والذكر والصلاة، ففي بيوت الله يستلذ المؤمن بمتع لا نظير لها، ويخلد إلى راحة لا مثيل لها، ويخرج من كُربِه سألماً منعماً بالرضا والتسليم، يُفصح عن ذلك الرسول ﷺ قائلاً: " صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته أو سوقه خمساً وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة لم يخط خطوة إلا رُفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم



تزل الملائكة تصلى عليه ما دام في مصلاه: اللهم صَلِّ عليه، اللهم
 ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة" (١)

ففي كنف الصلاة يأوي المرء إلى ركن شديد يعصمه من الزلل
 ويعينه على نوائب الدهر ويهديه إلى سواء السبيل ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]
 وإذا كان المشي إلى المساجد وانتظار الصلاة يرفع إلى مقامات
 عالية ودرجات رفيعة، فإن المكوث في المساجد والاعتكاف فيها
 أياماً يُرَقَّى بالعبد إلى درجة الفلاح.

○ فها هي الأيام تمر:

والأشهر تجري وراءها تسحب معها السنين وتجرح خلفها
 الأعمار وتطوى حياة جيل بعد جيل، وبعدها سيقف الجميع بين
 يدي الملك الجليل، لِيُسْأَلُوا عن القليل والكثير مصداقاً لقول ربنا
 جل وعلا: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٥]

وَلَتَ أَيَّامٌ رَمَضَانَ مَسْرَعَةً وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ

(١) رواه مسلم.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٨١

كنا قبل أيام نستقبل رمضان ونهنئ الأمة بمقدمه، وها نحن الآن نستقبل عشره الأخيرة، واما قليل يُطوى سجله بما فيه من إحسان المحسن وإساءة المسيء.

○ الرسول القدوة:

فيا أُخَيَّ الكريم اهجر لذيق المنام واقترِ بنبيك عليه الصلاة والسلام، فقد كان ﷺ يخص العشر الأواخر بأعمال لم يعملها سائر الشهر.

- تقول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها" (١)
 - "وظل يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله" (٢)
 - "فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً" (٣).

- وكان إذا فاتته الاعتكاف لعذر من سفر ونحوه قضاها، فقد روى أحمد في المسند عن أنس قال: "كان النبي ﷺ إذا كان مقيماً اعتكف العشر الأواخر من رمضان، وإذا سافر اعتكف من العام

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه البخاري عن عائشة.

(٣) - رواه البخاري عن أبي هريرة..



المقبل عشرين" (١)

- "وخرج مرة من اعتكافه في رمضان ثم قضاه في شوال" (٢)

- "وكان ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شدَّ مِئْزَرَهُ، وأحيا ليله، وأيقظ أهله" (٣)

وكان السلف رضي الله عنهم إذا دخلت العشر رفعوا الهمة إلى منتهاها وبذلوا الطاقة إلى أعلاها، كيف لا والعشر آخر السباق، فالسعيد من اغتنم موسم العمر قبل ذهابه، وحاسب نفسه قبل قراءة كتابه، وراقب مولاه مراقبة من يعلم أنه يراه في ذهابه وإيابه.

- قال عثمان: "كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأول من المحرم، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان" (٤)

- قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر... " (٥)

(١) - إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) - رواه البخاري عن عائشة.

(٣) - رواه الشيخان عن عائشة.

(٤) - لطائف المعارف / ابن رجب.

(٥) - السابق.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٨٣

○ الاعتكاف سنة مؤكدة:

واظب عليها الرسول ﷺ، وقد هُجرت هذه السنة كما هُجر غيرها من السنن في حياة كثير من مسلمي هذه الأيام وذلك لأسباب:

١. ضعف الجانب الإيماني في النفوس.

٢. الإقبال المتزايد على ملذات الدنيا وشهواتها، والذي أدى إلى عدم القدرة عن الابتعاد عنه، ولو لفترة وجيزة كهذه الأيام العشرة.

٣. اقتصار محبة النبي ﷺ على الجانب اللفظي دون العملي.

قال الإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: "عجباً للناس!! كيف تركوا الاعتكاف، ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه، وما ترك الاعتكاف حتى قبض"

○ الاعتكاف مدرسة تربوية مستقلة متكاملة:

تتخللها كثيرٌ من أنواع العبادة التي تعمل على إيقاظ كثيرٍ من الجوانب الحياتية في الإنسان.

- ١ - كالذكر: وما أدراك ما الذكر؟ يقول ﷺ "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق (الفضة) وخير لكم من أن تلقوا عدوكم،



فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ ذكر الله" (١).

٢- وقراءة القرآن والاستغفار وقيام الليل وغيرها، وحسبك أنك ضيف في بيت الملك الكريم سبحانه وتعالى.

○ مقاصد الاعتكاف:

١- تحرى ليلة القدر:

تلك الليلة التي يتحدد مصيرك فيها العام المقبل، فساعات قلائل تغرس سعادة أيام وشهور، فما أغلى هذه الليلة التي عرف عبدُ الله بن عباس فضلها وبيّن قدرها فقال - وهو يفسر قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤] -: "يُكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر، حتى يُكتب الحاج يحج فلان، ويحج فلان" (٢)

وفي الصحيح قال ﷺ: " التمسوها في العشر الأواخر "

وفيه: " من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه " (٣)

(١) - رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) - مختصر قيام الليل / الإمام المروزي.

(٣) - شعب الإيمان / البيهقي.

٢- الخلوة بالله والانقطاع عن الناس ما أمكن:

وهذه الخلوة تُصلح القلب وتجعله مقبلاً على الله بكليته، لأن أكثر ما يُفسد القلب الشواغل التي تصرفه عن الله كشهوات الطعام والشراب والنكاح وفضول الكلام والنوم والصحبة مما يشتت أمر القلب ويفسد اجتماعه على ربه، فشرع الله لنا طاعات تُحيي قلوبنا من هذه الآفات.

قال عطاء: مثل المعتكف كرجل له حاجة إلى عظيم، فجلس على بابه ليقول: لا أبرح حتى تُقضى حاجتي، وكذلك المعتكف يجلس في بيت الله ويقول: لا أبرح حتى يُغفر لي" (١)

٣- حفظ الصيام مما يفسده:

فالاعتكاف لا مجال فيه لإطلاق بصر، أو مشاحنة خصم، أو شجار زوج، أو حسد قريب، أو جرح لسان، وغير ذلك مما يجعل الإنسان ملك شيطانه وأسير هواه، فتأتي هذه الأيام العظيمة لتتشل المسلم من المهلكات.

٤- تعلم الصبر:

- الصبر على ما فقدت مما ألفتَه نفسك من أنواع الطعام المختلفة

(١) شعب الإيمان.



التي كنت تأكلها في بيتك.

- الصبر على ما تجد في المسجد من مزاحمة الآخرين وعدم توفر الهدوء أحياناً.

- الصبر على العبادة وملازمتها.

- الصبر عن شهوة الزوجة.

ومما يعينك على الصبر في الاعتكاف: استشعار حلاوة الجزاء، ويقينك بأنه الفرصة الذهبية للفرار من حر النار.

قال الأصمعي: هجم عليّ شهر رمضان وأنا بمكة فخرجت إلى الطائف لأصوم بها، هرباً من حرّ مكة، فلقيني أعرابي فقلت: أين تريد؟ قال: أريد هذا البلد المبارك، لأصوم هذا الشهر المبارك فيه، فقلت: أما تخاف الحر؟ قال من الحر أفر!!^(١)

٥ - حب المكث في المسجد والتعود على الجلوس فيه:

فقد قال النبي ﷺ: " المسجد بيت كل تقى " ^(٢)

وحين يتعلق قلبك بالمسجد، تكون من السبعة السعداء الذين

(١) - انظر الكامل في اللغة والأدب.

(٢) - رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٨٧

يُظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ " (١)

والمكث في المسجد فضله كثير وأجره كبير:

يقول ﷺ: "صلاة في إثر صلاة، لا لغو بينهما، كتابٌ في عليين" (٢)

وقال ﷺ: "إن للمساجد أوتاداً، الملائكة جلسائهم، إن غابوا

يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانواهم" (٣)

وقال ﷺ: "إن الله ينادي يوم القيامة: أين جيراني؟ فتقول

الملائكة: ربنا ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين عمار

المساجد" (٤)

لا بد من صنع الرجال ومثله صنع السـلاح

وصناعة الأبطال عـلم قد دراه أولو الفـلاح

ومن لم يلـقن أهله من أصله فقد النـجـاح

لا يُصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفسـاح

في روضة القـرآن في ظل الأحاديث الصـحاح

(١) - والحديث متفق عليه.

(٢) - رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني.

(٣) - رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في الصحيحة.

(٤) - انظر السلسلة الصحيحة.



شعب بغير عقيدة رمَدْ يُذْرِيه الرياح
من خان على حيِّ الفلاح فمَصِّيره نار الجراح



الاعتكاف آداب وأحكام

○ معنى الاعتكاف:

الاعتكاف في لغة العرب: اللُّبث، أو الحبس والملازمة، ومنه قول الله تعالى حكايةً عن ابراهيم لقومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ اللَّتْمَاسِئِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وشرعاً: اللُّبث في المسجد من شخصٍ مخصوص، بنيةٍ مخصوصة، وقيل: هو لزوم المسجد بنية طاعة الله، وسمي اعتكافاً لملازمة المسجد.

○ حكم الاعتكاف:

الاعتكاف مستحب طوال العام لما فيه من ملازمة المسجد لطاعة الله، والانشغال بالذكر، ويتأكد استحبابه في العشر الأواخر من رمضان، لحديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله " (١)

(١) - رواه البخاري.



○ وقت الاعتكاف:

يصح الاعتكاف في أي وقت من الليل والنهار، وفي أي يوم من العام، ولو يومي العيدين، وليس هناك وقت ولا يوم يمنع فيه الاعتكاف.

ومن نوى الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان فعليه أن يدخل معتكفه قبل غروب شمس يوم العشرين ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم من رمضان.

○ بعض المسائل المتعلقة بالاعتكاف:

- ١- قال ابن المنذر: "أجمعوا على أن الاعتكاف لا يجب على الناس فرضاً، إلا أن يوجبه المرء على نفسه فيجب عليه" (١)
- ٢- من شَرع في اعتكاف تطوع لم يلزمه إتمامه، ويكره له قطعه من غير عذر، وإذا قطعه استحب له أن يقضيه بعد ذلك لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: "أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فاستأذنته عائشة، فأذن لها، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها، ففعلت، فلما رأت ذلك زينب بنت جحش أمرت ببناء

(١) - الإجماع.

فُبُنِي بها، وكان ﷺ إذا صلى إلى بنائه فبصر بالأبنية فقال: ما هذا؟ قالوا: بناء عائشة وحفصة وزينب، فقال: البرُّ أردن بهذا؟ ما أنا بمعتكفٍ، فرجع فلما أفطر اعتكف عشراً من شوال" (١)

٣- لا يُشترط لصحة الاعتكاف الصوم، لأن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من شوال، وفيها يوم العيد، فكان مفطراً.

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال النبي ﷺ: أوف بنذرك" (٢)

٤- ولا يصح الاعتكاف إلا في المساجد، الرجل والمرأة سواء، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال الحافظ في الفتح: "فعلم أن المراد أن الاعتكاف لا يكون إلا فيه" ولأن نساء النبي ﷺ كن يعتكفن في المسجد، ولو جاز اعتكاف المرأة في بيتها لفعلته، وكان ذلك أولى لهن، لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وروى البيهقي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: "إن أبغض الأمور على الله البدع، وإن من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور".

(١) - متفق عليه.

(٢) - رواه البخاري.



٥- ويصح الاعتكاف في كل مسجد، وأفضل المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

٦- ومن نذر الاعتكاف في مسجد بعينه غير المساجد الثلاثة أجزأه الاعتكاف في أي مسجد آخر، لتساوي كل المساجد غير الثلاثة في الفضل، ولو نذر الاعتكاف في المسجد الأقصى أجزأه الاعتكاف في المسجد النبوي أو المسجد الحرام، ولو نذر الاعتكاف في المسجد النبوي أجزأه الاعتكاف في المسجد الحرام، ولو نذر الاعتكاف في المسجد الحرام تعيّن، ولم يقدّم غيره مقامه.

فعن جابر رضي الله عنه أن رجلاً قام يوم الفتح فقال: يا رسول الله، إني نذرت لله إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس ركعتين، قال: "فصلّها هنا" (١)

٧- لا يجوز للمعتكف أن يخرج من معتكفه لغير عذر، لحديث عائشة رضي الله عنها: "إن كان رسول الله صلى عليه وسلم ليُدخل على رأسه وهو في المسجد، فأرجّله له، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة

(١) - رواه أبو داود وصححه الألباني.

الإنسان إذا كان معتكفاً" (١)

فإن خرج من غير عذر بطل اعتكافه لأنه فعل ما ينافي الاعتكاف وهو اللبث في المسجد وملازمته.

٨- ويكره للمعتكف أن يخرج لصلاة الجنازة وعبادة المريض، لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: " إن كنت لأدخل البيت للحاجة، والمريض فيه، فما أسأل عنه إلا وأنا مارة " (٢)

وعنها قالت: " السنة على المعتكف ألا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، ولا يمَسَّ امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع " (٣)

٩- ويستحب للمعتكف التشاغل قدر الاستطاعة ليلاً ونهاراً بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله والاستغفار والتفكير والتدبر في آيات الله الكونية والقرآنية، وأن يكثر الصلاة على النبي ﷺ الذي سَنَّ لنا هذه العبادة الجليلة.

١٠- وللمعتكف أن يلبس ما شاء من المباحات، وأن يتطيب

(١) - رواه الشيخان.

(٢) - متفق عليه.

(٣) - رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني.



ويتزين ويُرَجِّل شعره وَيَدَّهْن.

١١- وللمعتكف أن يُعَلِّم العلم ويتعلمه ويقرأ القرآن ويُقرئه، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي، خلافاً لمالك وأحمد، ولأن الاشتغال بالعلم من أفضل النوافل.

١٢- ويكره للمعتكف أن لا ينشغل بما لا يعنيه من الأقوال والأعمال، أو أن لا يكثر من الكلام لحديث: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" (١)

كما يُكره له المراء والجدال والخصومات في الدين أو في غيره من أمور الدنيا، كما يُكره للمعتكف فضول الكلام وفضول الطعام وفضول المنام وفضول الصحبة والاختلاط، إلا في التنافس على الطاعة.

١٣- ويكره للمعتكف رفع الصوت بالقراءة والذكر والكلام حتى لا يؤذي غيره ويشوش عليه، فقد روى أبو داود عن أبي سعيد أنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ، فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر، وقال: ألا إن كلكم مناجٍ ربّه، فلا يؤذِن بعضكم بعضاً، ولا

(١) - رواه الترمذي وحسنه وصححه الألباني.

يرفع بعضكم على بعضٍ في القراءة، أو قال في الصلاة..^(١)
 ١٤ - وينبغي على المعتكف أن يحرص على نظافة المسجد وأن
 يعين إخوانه في ذلك وفي كل ما يحتاجون إليه.

ففي الصحيحين عن أنس قال: كنا مع النبي ﷺ في السفر، فمنا
 الصائم ومنا المفطر، وقال: فنزلنا منزلاً في يوم حارٍ، أكثرنا ظلاً الذي
 يستظل بكسائه، فأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً، وأما الذين
 أفطروا فبعثوا الركاب، وامتهنوا، وعالجوا، فقال ﷺ: " ذهب
 المفطرون بالأجر "

○ حاجة المؤمن إلى الاعتكاف:

حاجة المؤمن إلى الاعتكاف ترجع إلى حاجته إلى ثلاثة أشياء:
 ١ - حاجته إلى الخلوة والتبتل، حتى يُحصِّل الأنس بالله، ويدوق
 حلاوة القرب منه، قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾
 [المزمل: ٨]، والتبتل: الانقطاع، فقلوه تعالى: ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾
 أي انقطع إلى عبادته انقطاعاً.

(١) - صحيح أبي داود.



والانقطاع لله لا يكون إلا بعد درجتين:

الأول: الانقطاع عن الخلق بالجسد والقلب ليتصل بالرب.

قيل لبعضهم، وكان كثير التفرد: أما تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش، وهو يقول أنا جليس من ذكرني؟^(١)

فهذا الانقطاع من سنن الاعتكاف، فقد كان ﷺ يأمر بخباء فيضرب له في المسجد يخلو فيه بربه عز وجل.

الثانية: الانقطاع عن النفس، أي عن شهواتها وملذاتها ومحابَّتها.

٢- الحاجة إلى قطع النفس عن الشواغل التي تقطع الطريق إلى الله، وأهم هذه الشواغل كثرة الخلطة والصحبة وكثرة الطعام والشراب وكثرة النوم.

٣- الحاجة إلى العكوف على سؤال الله المغفرة، حتى يمن الله بها عليه.

وأخيراً:

الاعتكاف أيام معدودة وفرصة محدودة، وساعات إن ضاعت منها ساعة، فلن تعود إلى قيام الساعة، وملك الشمس لا يفتر عن

(١) - لطائف المعارف / ابن رجب

قُطُوفُ إِيمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

١٩٧

سَوْفَهَا، وضياع الوقت أشد على المؤمن من الموت، فإن الموت
يقطعه عن الدنيا وضياع الوقت يقطعه عن الله والدار الآخرة.
أسأل الله أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال إنه
أهل التقوى وأهل المغفرة.



كيف ندرك ليلة القدر؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما حضر رمضان، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 " قد جاءكم رمضان شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تُفْتَحُ فِيهِ
 أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَى فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ
 خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ " ^(١)

○ سِرّ تسمية ليلة القدر بهذا الاسم:

- ١- قيل: لأنها ليلة ذات قدر، لنزول القرآن فيها، أو لما يقع فيها من تنزل الملائكة، أو لما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة.
- ٢- وقيل: لأن العمل فيها له قدرٌ عظيم.
- ٣- وقيل: لأن فيها نزل كتاب ذو قدر، بواسطة ملك ذي قدر، على رسول ذي قدر لأمة ذات قدر.
- ٤- وقيل: لأن من يحييها ويدركها يصير إنساناً ذا قدر.
- ٥- وقيل: لأنه ينزل فيها من فضل الله وخزائن مننه وجوده

(١) - أخرجه أحمد والنسائي وصححه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

١٩٩

وكرمه ما لا يُقَدَّرُ قدرُهُ.

٦- وقيل: من القدر، وهو الضيق، ذلك لأن الأرض تضيق بالملائكة في ليلتها.

٧- وقيل: لأن الله تعالى يُقَدِّرُ فيها الأرزاق والآجال وما هو كائنٌ في تلك السنة

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يُكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال، حتى الحُجَّاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان" (١)

○ فضائل ليلة القدر:

تأمل سورة القدر تعرف فضائل ليلة القدر:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيَّرُ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝ ﴾ [القدر: ١-٥]

١- أنزل الله فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

(١) - مختصر قيام الليل: الإمام لمروزي.



٢- عظم الله تعالى شأنها وذكرها قائلاً: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ أي: لا يعلم قدرها إلا علام الغيوب جل وعلا.

٣- ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ فالسعيد من يسّر الله له قيامها واجتهد في فعل الأعمال الصالحة فيها، وألف شهر: تعادل ثلاثاً وثمانين سنة تقريباً، وهذا عمرٌ قلّ من الناس من يبلغه، فكيف بمن يعبد الله تعالى فيه.

٤- ﴿ نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أي جبريل ﷺ ينزل في تلك الليلة مع الملائكة ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أي من كل أمر من الخير والبركة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: " أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له " (١)

٥- ﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾ قال أبو المظفر السمعاني: وقوله ﴿ سَلَّمَ هِيَ ﴾ فيه قولان:

(١) - تفسير ابن كثير .

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٠١

أحدهما: أن المراد منه تسليم الملائكة على من يذكر الله تعالى في تلك الليلة.

والقول الثاني: ﴿سَلَّمَ﴾: أي سلامة، والمعنى أنه لا يُعمل فيها داء ولا سحر ولا شيء من عمل الشيطان والكهنة. (١)

٦- أن من قامها إيماناً واحتساباً عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه" (٢)

ومعنى "إيماناً واحتساباً" يعني مصداقاً بفرض صيامه، ومصداقاً بالثواب على قيامه وصيامه، محتسباً مريداً بذلك وجه الله، بريئاً من الرياء والسمعة" (٣)

○ كيف تُدرك ليلة القدر؟

تُدرك ليلة القدر بإحياء العشر الأواخر من رمضان، بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن.

فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً عُفِرَ له ما تقدم

(١) - تفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

(٢) - متفق عليه.

(٣) - شرح صحيح البخاري لابن بطال.



من ذنبه".

قال العلامة ابن باز - عليه رحمة الله -:

" وقيامها يكون بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن وغير ذلك من وجوه الخير،

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها ^(١)، وقالت: كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله " ^(٢)

وكان النبي ﷺ يعتكف في هذه العشر، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وكان أصحاب النبي ﷺ وكان السلف بعدهم يعظمون هذه العشر ويجتهدون فيها بأنواع الخير، فالمشروع للمسلمين في كل مكان أن يتأسوا بنبيهم ﷺ وبأصحابه الكرام رضي الله عنهم وبسلف هذه الأمة الأخيار، فيُحيوا هذه الليالي بالصلاة وقراءة القرآن وأنواع الذكر والعبادة إيماناً واحتساباً، حتى يفوزوا بمغفرة الذنوب وحط الأوزار والعقن من

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه البخاري.

قُطُوفُ إِيمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٠٣

النار فضلاً منه سبحانه وجوداً وكرماً" (١)

○ هل ليلة القدر متنقلة ؟

دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ أن هذه الليلة متنقلة في العشر، فقد تكون في ليلة إحدى وعشرين، وقد تكون في ليلة ثلاث وعشرين، وقد تكون في ليلة خمس وعشرين، وقد تكون في ليلة سبع وعشرين، وهي أرجى الليالي، وقد تكون في ليلة تسع وعشرين، فمن قام ليالي العشر كلها إيماناً واحتساباً أدرك هذه الليلة بلا شك وفاز بما وعد الله أهلها.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: " تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان " (٢)

وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان " (٣)

فائدة مهمة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " لكن الوتر يكون باعتبار

(١) - مجموع فتاوى ابن باز.

(٢) - متفق عليه.

(٣) - متفق عليه.



الماضي فتُطلب ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين، ويكون باعتبار ما بقي كما قال ﷺ: "التاسعة تبقى، لسابعة تبقى، لخامسة تبقى، لثالثة تبقى" فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين يكون ذلك ليالي الأشفاع، وتكون الاثني والعشرين تاسعة تبقى، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى، وهكذا فسره أبو سعيد الخدري في الحديث الصحيح، وهكذا أقام النبي ﷺ في الشهر، وإن كان الشهر تسعاً وعشرين كان التاريخ بالباقي كالتاريخ الماضي، وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحراها المؤمن في العشر الأواخر جمعياً، كما قال ﷺ تحروها في العشر الأواخر..^(١)

○ علامات ليلة القدر:

لليلة القدر علامات تميزها عن غيرها:

- ١- كثرة تنزل الملائكة فيها، وفي مقدّماتهم جبريل عليه السلام، ليشهدوا المصلين في مساجدهم، حتى إن الملائكة تكون أكثر من عدد الحصى، وهذه العلامة لا تظهر للناس، ولكن يظهر آثارها من سكينة في نفس، وطمأنينة في قلب، وانسراح في صدر، ولذة عبادة لا

(١) - فتاوى ابن تيمية.

توجد في غيرها.

٢- السلامة تكثر فيها بسبب ما يقوم به العباد من طاعة الله عز وجل:

فقلما تسمع في هذه الليلة بحوادث أو حرائق أو مصائب أو نحو ذلك، وصدق ربي ومن أصدق من ربي قِيلاً: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾.

٣- الشمس تطلع صبيحتها بيضاء لا شعاع لها:

وسبب ذلك: أن الملائكة يصعدون إلى السماء تحجب أجنتهم، أو أنوارهم أشعة الشمس وذلك من كثرتهم^(١)
ففي حديث ذر بن حبيش أن النبي ﷺ قال: ".... وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها"^(٢)

٤- أنها ليلة صافية لا حارة ولا باردة، وذلك بالنسبة لليالي التي قبلها والتي بعدها، ففي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال في ليلة القدر: " ليلة طلقة لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها

(١) - انظر شرح النووي على صحيح مسلم.

(٢) - رواه مسلم.



حمراء ضعيفة" (١)

٥- لا يخرج الشيطان مع الشمس صبيحتها:

فالشمس تطلع بين قرني شيطان إلا صبيحة ليلة القدر، ففي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "... لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ" (٢)

وعلى كل فإن النبي صلى الله عليه وسلم علّق فضلها على القيام فيها بالعبادة، ولم يعلقه على رؤية شيء فيها.

○ لماذا أخفيت ليلة القدر؟

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: "خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان، فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم..." (٣).

قال الحافظ ابن حجر: قوله "فعسى أن يكون خيراً لكم" وجه الخيرية من جهة أن خفاءها يستدعي قيام كل الشهر أو العشر،

(١) - رواه ابن خزيمة وصححه الألباني لشواهده.

(٢) - رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٣) - رواه البخاري.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٠٧

بخلاف ما لو بقيت معرفة تعيينها " (١)

وقال أيضاً: " قال العلماء: الحكمة في إخفاء ليلة القدر، ليحصل الاجتهاد في التماسها، بخلاف ما لو عُيِّنَتْ لها ليلةٌ لاقتصر عليها " (٢)
فأخفى الله تعالى ليلة القدر حتى يجتهد الناس في طلبها، فيكثر من الصلاة والقيام والدعاء في ليالي العشر من رمضان رجاء إدراكها.

فحريٌّ بكل مؤمن صادق يخاف عذاب ربه ويرجوا رحمته، أن يقوم هذه الليالي ويجتهد فيها معتكفاً مصلياً ذاكراً تالياً داعياً باكياً تأسياً بالنبي ﷺ.

فما هي إلا ليالي عشر، ثم يُنفَضُ شهر الخير والبركة، وما هي إلا ليالي معدودات ويرتحل الضيف العزيز، وهذه العشر هي ختام شهر رمضان والأعمال بالخواتيم.

وعلى المسلم أن يحث أهله ويُنشطهم ويرغبهم في قيام هذه الليالي والاجتهاد فيها.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: "أتاكم رمضان

(١) - فتح الباري.

(٢) - المصدر السابق.



شَهْرُ بَرَكَةٍ، يَغْشَاكُمْ اللَّهُ فِيهِ، فَيُنْزِلُ الرَّحْمَةَ وَيَحِطُ الْخَطَايَا وَيَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ، يَنْظُرُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ وَيَبَاهِي بِكُمْ مَلَائِكَتَهُ، فَأَرَوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مِنْ حُرِّمْ فِيهِ رَحْمَةُ اللَّهِ" (١)

○ دعاء ليلة القدر:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمتُ أيَّ ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقول فيها ؟ قال: قل: "اللهم إنك عفوٌ كريمٌ تحبُّ العفو فاعفُ عني" (٢)

واعلم أن هذا الدعاء الذي أرشد إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجمع الدعاء وأَنْفَعُهُ، فهو جامعٌ لخيري الدنيا والآخرة، وذلك أن الله تعالى إذا عفا عن العباد في الدنيا رفع عنهم العقوبات وتابع عليهم النعم، وإذا عفا عنهم في الآخرة سلّمهم من النار وأدخلهم الجنة.



(١) أخرجه الطبراني، ورواته ثقات.

(٢) - رواه الترمذي وابن ماجه والنسائي وصححه الألباني.

طهارة للصائمين وطعمة للمساكين (زكاة الفطر)

زكاة الفطر من أعظم مظاهر تيسير الله تعالى على عباده المؤمنين ورحمته بهم، وجبره سبحانه لما يقع منهم من تقصير أو هفوات في صيام رمضان.

زكاة الفطر طهارة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للفقراء والمساكين.

زكاة الفطر شكرٌ لله تعالى على تيسيره لعبده صيام رمضان وقيامه، وفيها من التكافل الاجتماعي ما يلحظه القاصي والداني. وقد بين النبي ﷺ فضلها وحكمها وحكمتها ومقدارها والنوع الذي تُخرج منه وعلى من تجب ووقت إخراجها.

○ فضل زكاة الفطر:

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].



عن أبي خلدة قال: دخلت على أبي العالية فقال لي: إذا غدوت غداً إلى العيد، فمَرَّ بي قال: فمررت به، فقال: هل طعمت شيئاً؟ فقلت: نعم، قال: أفضت على نفسك من الماء؟ قلت نعم، قال: فأخبرني ما فعلت بزكاتك؟ قلت: قد وجَّهتها، قال: إنما أردتُك لهذا، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝﴾ وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء " (١)

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر، ويتلو هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝﴾ وروى كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ﴾ قال: أخرج زكاة الفطر، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝﴾ قال: صلاة العيد. (٣)

○ حُكْم زَكَاةِ الْفِطْرِ:

جمهور أئمة الفتوى وعامة العلماء من السلف على أن زكاة الفطر واجبة.

(١) - أخرجه ابن جرير في جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي.

(٣) - السابق.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

٢١١

قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: " وأجمعوا على أن صدقة الفطر فرض، وأجمعوا على أن صدقة الفطر تجب على المرء إذا أمكنه أدائها عن نفسه وأولاده الذين لا أموال لهم، وأجمعوا على أن على المرء أداء زكاة الفطر عن مملوكه الحاضر " (١)

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ " فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس، صاعاً من تمرٍ، أو صاعاً من شعيرٍ، على كل حرٍّ أو عبدٍ ذكراً أو أنثى من المسلمين " (٢)

قال الخطابي: " وفيه أن ما فرض رسول الله ﷺ فهو كما فرضه الله تعالى في كتابه، لأن طاعته صادرة عن طاعته... " (٣)

فائدة: والأفضل أن يوزع زكاته بنفسه، ليتيقن وصولها إلى مستحقيها، وليحصل على أجر التعب، لأن توزيعها عبادة لله تعالى.

○ على من تجب ؟

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ " فرض زكاة الفطر من رمضان على كل نفس من المسلمين: حرٌّ أو عبدٍ أو رجل أو امرأة،

(١) - الإجماع.

(٢) - متفق عليه.

(٣) - معالم السنن.



صغير أو كبير" (١)

والحديث دليل على عموم وجوبها على العبيد والأحرار الذكور والإناث صغيراً وكبيراً غنياً وفقيراً (٢)

ولا تجب عن الحمل الذي في البطن، إلا أن يُتطوع بها فلا بأس، فقد كان أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يخرجها عن الحمل، ويجب إخراجها عن نفسه وكذلك من تلزمه مؤنته من زوجة وقريب.... ولا تجب إلا على من وجدها فاضلة زائدة عما يحتاجه من نفقة يوم العيد وليلته. (٣)

○ لماذا شرع الله زكاة الفطر؟

زكاة الفطر لها حكمٌ كثيرة أبرزها ما يلي:

١- طهرة للصائم من اللغو والرفث، فترفع خلل الصوم، فيكون بذلك تمام السرور.

٢- طعمة للمساكين وإغناء لهم عن السؤال في يوم العيد، وإدخال السرور عليهم ليكون العيد يوم فرح وسرور لجميع فئات المجتمع.

(١) - متفق عليه.

(٢) - سبل السلام : الصنعاني.

(٣) - مجالس شهر رمضان : العثيمين.

٣- مواساةٌ للمسلمين، أغنيائهم وفقرائهم ذلك اليوم، فيَتَفَرَّغَ الجميع لعبادة الله تعالى وحده والسرور والاعتباط بنعمه سبحانه، وهذه الأمور تدخل في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر، طُهْرَةً للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين...." (١)

٤- حصول الثواب والأجر العظيم بدفعها لمستحقيها في وقتها المحدد.

٥- زكاةٌ للبدن، حيث أبقاه الله تعالى عامًا من الأعوام وأنعم عليه سبحانه بالبقاء، ولأجله استوى فيها، الكبير والصغير والذكر والأنثى والغني والفقير والحر والعبد والكمال والناقص في مقدار الواجب، وهو الصاع.

٦- شكر نعم الله تعالى على الصائمين بإتمام الصيام، والله حكم وأسرار لا تصل إليها عقول العالمين (٢)

○ مقدار زكاة الفطر:

ومقدار زكاة الفطر: صاع من قوت البلد الذي يأكله الناس، ففي

(١) - رواه أبو داود وحسنه الألباني.

(٢) - زكاة الفطر في ضوء الكتاب والسنة / سعيد بن وهف القحطاني.



حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نُخرج يوم الفطر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام، وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر" (١)

والصاع: أربعة أمداد، والمد: ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومدّ يديه بهما.

قال العلامة ابن باز - عليه رحمة الله -:

" ومقداره أربع حفنات بملء اليدين المعتدلتين من الطعام اليابس كالتمر والحنطة ونحو ذلك..... أما بالكيلو فيقارب ثلاثة كيلو.." (٢)

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العملية والإفتاء: " المقدار الواجب في زكاة الفطر عن كل فرد صاع واحد بصاع النبي صلى الله عليه وسلم ومقداره بالكيلو ثلاثة كيلو تقريباً" (٣)

○ هل تجزئ القيمة في زكاة الفطر؟

مذهب جماهير العلماء أن إخراج القيمة في زكاة الفطر لا يجوز

(١) - متفق عليه.

(٢) - مجموع فتاوى ابن باز.

(٣) - فتاوى اللجنة الدائمة.

ولا تجزئ.

واستدلوا بما يلي:

١- أن الزكاة قرينة وعبادة مفروضة من جنس متعين، فلا يجوز إخراجها من غير الجنس المعين كما لا يجوز إخراجها في غير الوقت المعين. (١)

٢- إخراج القيمة خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ وفرضه، وقد قال رسول الله ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" (٢)

قال ابن قدامة: "ولنا قول ابن عمر: "فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر صاعاً من تمر وصاعاً من شعير، فإذا عدل عن ذلك فقد ترك المفروض"

وقال "ولا تجزئ القيمة لأنه عدول عن النصوص"

وقال: "ومن أعطى القيمة لم تجزئه، قال أبو داود: قيل لأحمد وأنا أسمع: أعطى دراهم؟" - يعني في صدقة الفطر - قال: أخاف ألا تجزئه، خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال أبو طالب: قال لي أحمد: لا يُعطى قيمته، قيل له: قومٌ يقولون: عمر بن عبد

(١) - هل تجزئ القيمة في زكاة الفطر؟ محمد المقدم.

(٢) - متفق عليه.



العزیز کان يأخذ بالقيمة، قال: يَدْعُونَ قول رسول الله ويقولون: قال فلان.... " (١)

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: " ولا يجوز إخراج القيمة عند جمهور أهل العلم وهو أصح دليلاً بل الواجب إخراجها من الطعام كما فعله النبي ﷺ وأصحابه... " (٢)

٣- أن النبي ﷺ عَيَّنَهَا من أجناس مختلفة، وقيمتها مختلفة غالباً، فلو كانت القيمة جائزة، لكان الواجب صاعاً من جنس وما يقابل قيمته من الأجناس الأخرى. (٣)

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: " ذكر ﷺ أشياء قِيمُهَا مختلفة وأوجب في كل نوع منها صاعاً فدل على أن المعتبر صاع ولا نظر إلى قيمته " (٤)

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: " وفي الأحاديث دليل على أن إخراج القيمة لا يجوز، وذلك لأنه ذكر أشياء مختلفة القيم فدلّ أن المراد بها الأعيان لا قيمتها " (٥)

(١) - المغني.

(٢) - مجموع فتاوى ابن باز.

(٣) - هل تجزئ القيمة في زكاة الفطر ؟ / محمد اسماعيل المقدم.

(٤) - شرح النووي لصحيح مسلم.

(٥) - معالم السنن.

٤- إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم، بل مخالف لإجماعهم، حيث كان عددهم مئة وأربعة عشر ألفاً تقريباً، وكان آخرهم وفاة: عامر بن واثلة الليثي رضي الله عنه سنة مائة وعشر من الهجرة، وفرضت زكاة الفطر في السنة الثانية من الهجرة.

وهذا يعني أن أكثر من مائة ألف صحابي على مرار أكثر من مئة عام لم يخرج واحد منهم زكاة الفطر (مالاً) ولو مرة واحدة في حياته. فهل هناك إجماع أقوى من هذا الإجماع على اشتراط الطعام لصحتها وعدم إجرائها مالاً؟ (١)

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نعطيها في زمان النبي صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب (٢)

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" (٣)

٥- عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه لما استخلف كتب له - حين

(١) - هل يجوز إخراج زكاة الفطر مالاً؟ / أحمد بن عبد السلام العقيلي.

(٢) - رواه البخاري.

(٣) - صحيح ابن ماجه.



وجّهه إلى البحرين - هذا الكتاب: "... ومن بلغت عنده من الإبل صدقة الجَذعة [أربع سنين ودخلت في الخامسة] وليست عنده، وعنده حقة [ثلاث سنين] فإنها تُقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين أو عشرين درهماً..." (١)

قال ابن تيمية (أبو البركات): "والجبرانات المقدرة في حديث أبي بكر تدل على أن القيمة لا تُشرع وإلا كانت تلك الجبرانات عبثاً" (٢)

وقال العلامة عطية محمد سالم رَحِمَهُ اللهُ: "إن القول بالقيمة فيه مخالفة للأصول من جهتين: الأولى: أن النبي ﷺ لَمَّا ذَكَرَ تلك الأصناف لم يذكر معها القيم، ولو كانت جائزة لذكرها مع ما ذكر، كما ذكر العوض في زكاة الإبل وهو ﷺ أشفق وأرحم بالمسكين من كل إنسان، والثانية: وهي القاعدة العامة: أنه لا يُنتقل إلى البذل إلا عند فقد المبدل عنه.." (٣)

كلام من ذهب للعشيمين - عليه رحمة الله - :

(١) - رواه البخاري.

(٢) - منتقى الأخبار.

(٣) - تنمة أضواء البيان.

" ولا يَجْزئُ إخراجها من الثياب والفرش والأواني والأمتعة وغيرها مما سوى طعام الآدميين، لأن النبي ﷺ فرضها من الطعام فلا يُتعدى ما عِنْدَهُ الرسول ﷺ، ولا تُجْزئُ إخراج قيمة الطعام، لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ وقد ثبت عنه أنه قال: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" وفي رواية: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد" وأصله في الصحيحين، ومعنى رد: مردود، ولأن إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة حيث كانوا يخرجونها صاعاً من طعام، وقد قال النبي ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" ولأن زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين فلا يُجْزئُ إخراجها من غير الجنس المعين، ولأن النبي ﷺ عَيَّنَهَا من أجناس مختلفة وأقيامها مختلفة غالباً، فلو كانت القيمة معتبرة، لكان الواجب صاعاً من جنس، وما يقابل قيمته من الأجناس الأخرى، ولأن إخراج القيمة يُخرج الفطرة من كونها شعيرة ظاهرة بين المسلمين معلومة للصغير والكبير يشاهدون كيلها وتوزيعها، ويتعارفونها بينهم، بخلاف ما لو كانت دراهم يخرجها الإنسان خفية بينه وبين الآخر " (١).

(١) - مجالس شهر رمضان.



وقال العلامة المحدث الألباني - عليه رحمة الله -: " المقصود من صدقة الفطر يختلف عن المقصود من الزكاة السنوية، ولا يقصد من زكاة الفطر التوسعة العامة في كل شيء على الفقير، وإنما المقصود توسعة خاصة وهي الطعام " (١)

○ إشكالان وجوابها:

الأول: فإن قيل: المقصود هو دفع حاجة المسكين، وذلك يتحقق بالطعام والقيمة وربما كانت القيمة أفضل للفقير وأنفع له ؟ !

الجواب: سد حاجة المسكين مقصودة، لكن ليس هو كل المقصود، ثم أنتم أعلم أم الله بما يصلح الفقير ؟ ولماذا لم يُبين ذلك رسول الله ﷺ، وكيف يُتصور أن المال أنفع للفقير، ثم يأمر رسول الله ﷺ بخلافه؟ ثم إن الفقراء في زمن النبي ﷺ ربما كانوا أشدَّ فقراً منهم الآن وكان المال موجوداً متداولاً في زمانهم ومع ذلك لم يكن يُخرجها النبي ﷺ مالا، ثم ما أدراك أنك إذا أعطيته مالا لم يشترَّ به دخاناً ونحوه فتضيع المصلحة المزعومة !! ومن يمنعك أن تعطيه مالا سوى زكاة الفطر وتُبقى زكاة الفطر كما هي ؟ !

(١) - هل تجزئ القيمة في زكاة الفطر / محمد أحمد المقدم نقلاً عن سلسلة الهدى والنور.

الثاني: من أقوى ما استدلل به المجوّزون للقيمة:

قول البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: "باب العَرَض في الزكاة، وقال طاووس: قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأهل اليمن: "[اتنوني بعَرَضٍ [ما عدا النقدين] ثيابٍ خميص [سميك] أو لباس [ملبوس] في الصدقة مكان الشعر والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي ﷺ]"

الجواب: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا التعليق صحيح الإسناد إلى طاووس، ولكن لم يسمع من معاذ فهو منقطع، فلا يُعْتَر بقول من قال: ذكره البخاري بالتعليق الجازم، فهو صحيح عنده، لأن ذلك لا يفيد إلا الصحة إلى من علّق عنه أما باقي الإسناد فلا..."

وقال أيضاً: "وحكى البيهقي أن بعضهم قال فيه: "من الجزية بدل الصدقة، فإن ثبت ذلك بطل الاستدلال..." (١)

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والجواب عن حديث معاذ: أن المراد به أخذ البدل عن الجزية لا عن الزكاة، فإن النبي ﷺ أمره أن يأخذ في الزكاة عن الحب حباً، وعقّبه بالجزية، فقال: خذ من كل حالمٍ ديناراً أو عدله معافٍ" (٢)

(١) - فتح الباري.

(٢) - شرح صحيح مسلم للنووي.



وغايته أنه اجتهد من معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خالف به ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

○ لمن تُعطى زكاة الفطر؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكان من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخصيص المساكين بهذه الصدقة، ولم يكن يقسمها على الأصناف الثمانية، ولا أمر بذلك، ولا فعله أحد من أصحابه ولا من بعدهم.... (١)

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: عن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: "وطعمة للمساكين": فيه دليل على أن الفطرة تصرف في المساكين دون غيرهم من مصارف الزكاة" (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهذا القول أقوى في الدليل" (٣)

وقال: "ولا يجوز دفع زكاة الفطر إلا لمن يستحق الكفارة، وهو من يأخذ لحاجته لا في الرقاب والمؤلفة قلوبهم وغير ذلك" (٤).

(١) - زاد المعاد في هدي خير العباد.

(٢) - نيل الأوطار.

(٣) - مجموع الفتاوى.

(٤) - الاختيارات الفقهية.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٢٣

○ هل تنقل زكاة الفطر من مكان إلى آخر ؟

الأصل في ذلك قول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "... فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم" (١)

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولا بأس بذلك ويُجزئ إن شاء الله في أصح قولي العلماء، لكن إخراجها في محلِكَ الذي تُقيم فيه أفضل وأحوط، وإذا بعثتها إلى أهلِكَ ليخرجوها على الفقراء في بلدك فلا بأس" (٢)

○ وقت إخراج زكاة الفطر:

وَقَتَ النَّبِيِّ ﷺ إخراج زكاة الفطر في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -المتقدم- وفيه: "وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة" (٣)

قال الحافظ ابن حجر: "أي قبل خروج الناس إلى صلاة العيد وبعد صلاة الفجر،

(١) - متفق عليه.

(٢) - مجموع فتاوى ابن باز.

(٣) - متفق عليه.



وقال عيينة في تفسيره: عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: يُقَدَّم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته... " (١)

وقال البخاري: كان ابن عمر يعطيها للذين يقبلونها، وكانوا يُعْطُونَ قبل الفطر بيوم أو يومين، قلت: وأثر ابن عمر إنما يدل على جواز إعطاء صدقة الفطر بيوم أو يومين ليجمع، لا للفقراء كما قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: وأما إعطاؤها قبل الفطر بيوم أو يومين للفقراء فلم يَقم عليه دليل " (٢)

ولا يجوز ولا يجزئ تأخيرها بعد الصلاة:

لحديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: " فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات " (٣)



(١) - فتح الباري.

(٢) - تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي / المبار كفوري.

(٣) - رواه أبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني.

وداعاً رمضان

ها نحن نودع رمضان شهر الصيام، والقيام، والصبر، والتقوى،
والدعاء، والتوبة، والجهد، والصدقة، والجود، والرحمة، والمغفرة،
والعتق من النار.

ها نحن نودعه، وقد أودعناه ما عملناه من أعمال حسننها وسيئها،
والأيام خزائن حافظة لأعمالنا نُدْعَى بها يوم القيامة؛ كما قال تعالى:
﴿يَوْمَ نَحْذِ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ
بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال ﷺ فيما يرويه عن
ربه: " يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها،
فمن وجد خيراً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا
نفسه" (١)

رمضان كسوقٍ انتصب ثم انفض، ربح فيه الرابحون، وخسر فيه
الخاسرون، فيا سعادة من عمّر أوقاته بالطاعات، ذهبت مشقة الطاعة

(١) رواه مسلم.



عنه، وبقيت لذة الفوز! ويا خسارة من فرّط فيه، ذهبت لذة النوم واللهو والتفريط، وبقيت حسرة الندامة والخسران، في يومٍ توزع الأرباح!

انقضاء رمضان عبرة وعظة، فما مضى منه لن يعود، وهو كأعمارنا؛ كما قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام، إذا ذهب يومك ذهب بعضك" (١)

تمر بنا الأيام تترى وإنما نساق إلى الآجال والعين تنظرُ فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ولا زائل هذا الشيب المكدر ينبغي ونحن نودّع رمضان، أن نراعي ما يلي:

١- أن نقف مع أنفسنا وقفّة صدق قبل أن ينسحب رمضان من بين أيدينا:

في هذه الوقفة، سل نفسك سؤالاً صريحاً: هل أنت راضٍ عن نفسك، وعن أدائك وعملك في الأيام الماضية؟

إن كنت راضياً عن نفسك، بمعنى: قد قمتَ بما تقدر عليه، وفي نفسك شعوراً بأنك ما قصرت، وإن لم تكن قد بلغت الكمال، أو

(١) لطائف المعارف.

وصلت النهاية، فاحمد الله، وداوم إلى النهاية.

وإن لم تكن راضياً عن نفسك، بمعنى: في نفسك شعوراً بالتقصير، فقد ضيّعت بعض وقتك أو كثيراً منه، ولم تستغل الأيام الماضية استغلالاً حسناً، تقدّر على استغلال الأيام المتبقية، ولو قليلة، ولو سويّعات، بالتوبة والإنابة، والندم، والإقبال على الله، تقدّر أن تنظّم وقتك، وتُحسّن فيما بقي، فإنما الأعمال بالخواتيم.

فمن أحسن في الأيام الأخيرة، فقد أحسن، ومن أساء فقد أساء.

٢- احرص كل الحرص على نبذ الخصام والتنازع والشحناء، وفضّها، وتخلّص منها:

فإن ذلك سببٌ منع الخير عن الأمة، أليس ذلك أو شيئاً منه سببٌ إخفاء ليلة القدر؟ ففي حديث عبادة بن الصّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: "إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرَفَعْتُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَّمَسُّوْهَا فِي السَّبْعِ وَالسَّبْعِ وَالْخَمْسِ" (١)

(١) رواه البخاري.



٣- الزم الاستغفار:

فإن الطاعاتِ عموماً يُستحب ختامها بالاستغفار، كأنه جبرٌ للنقص، ودعاءٌ بالقبول.

فالصلاة مثلاً، علمنا النبي ﷺ أن نختمها بالاستغفار، فكان إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثاً، وقال: "اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام" (١)

وبعد قيام الليل، وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿وَيَلْأَسْحَارَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ٨١]

وبعد أداء المناسك، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٩٩١]

فنستغفر الله العظيم عن تقصيرنا، ونسأله تعالى قبول أعمالنا.

٤- الحرص على طلب العفو:

فالعفو صفة الله، والعفو اسم الله، وهو جل جلاله يحب أن يطلب عباده منه ذلك.

(١) أخرجه مسلم وغيره.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٢٩

فمن عفا الله عنه سعد في الدنيا والآخرة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي" (١)

فمن رُزِق في تلك الليلة العفو فقد أفلح وأنجح ومن أوتي العفو والعافية في الدنيا والآخرة فقد أوتي الخير بحدافيره.

ذكر الحافظ ابن رجب رحمته الله الحكمة من سؤال العفو في هذه الليلة على وجه الخصوص، فقال: "وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر - بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر - لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو، كحال المذنب المقصر" (٢)

٥- أحسن توديعه، كما أحسنت استقباله:

وهكذا الحال مع كل ضيف كريم، نقوم له داخلاً، ونقوم له مولياً خارجاً.

كما استقبلناه بالهمة والعزم والنشاط، حتى نكون من المقبولين الفائزين.

(١) رواه ابن ماجه والترمذي، وصححه الألباني.

(٢) لطائف المعارف.



كيف أعرف أنني من المقبولين في رمضان أم لا؟

عن أَبِي بَشِيرٍ مِفْضَلِ بْنِ لَاحِقٍ: سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ، يَخْطُبُ بَعْدَ انْقِضَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَيَقُولُ: "كَأَنَّ كَبِدًا لَمْ تَظْمَأْ، وَكَأَنَّ عَيْنًا لَمْ تَسْهَرْ، فَقَدْ ذَهَبَ الظَّمَأُ وَأُبْقِيَ الْأَجْرُ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الْمَقْبُولُ مِنَّا فَهَنَّهُ، وَمَنِ الْمَرْدُودُ مِنَّا فَنَعَزِّيهِ؟ فَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَقْبُولُ فَهَنِيئًا هَنِيئًا، وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَرْدُودُ فَجَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَكَ، ثُمَّ يَبْكِي وَيَبْكِي" (١)

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيَنَادِي: "مَنْ هَذَا الْمَقْبُولُ اللَّيْلَةَ فَهَنِيهِ، وَمَنْ هَذَا الْمَحْرُومُ الْمَرْدُودُ اللَّيْلَةَ فَنَعَزِّيهِ، أَيُّهَا الْمَقْبُولُ هَنِيئًا لِلْهِنَا وَأَيُّهَا الْمَحْرُومُ الْمَرْدُودُ جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَكَ" (٢)

○ حتى يكون عملك مقبولا:

لا بد أن يتحقق فيه ثلاثة شروط:

-
- (١) الصيام للفريابي.
 - (٢) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر: المروزي.

الأول: الإيمان بالله:

فالكاfer مهما عمل من عمل، مهما واسى من فقراء، مهما كفل من أيتام، مهما أغاث من ملهوف، مهما تصدَّق، فإنه لا يجد أثر ذلك في الآخرة، إلا إذا أسلم، كما في حديث حَكِيم بن حِرَاز رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّنُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ، وَصَلَةٍ رَحِمٍ، فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَجْرٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "أَسَلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ" (١) أي طالما أسلمت، فإن الله تعالى من عظيم كرمه، كتب لك ما سبق وما لحق.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت يا رسول الله! ابن جُدَعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: "لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ" (٢)

لكن يقتضي كرم الله كذلك، أن يجازيه به في دنياه، ببركة في ماله، وولده، وصحته، ونحو ذلك، أما في الآخرة، فالإيمان شرط لقبول الأعمال والإثابة عليها، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.



يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴿[النحل: ٧٩]

الثاني: الإخلاص:

فإذا ذهب الإخلاص، حلَّ الرياء، أو الشرك فحبط العمل.
والإخلاص: أن يكون العمل موجهًا توجيهًا مجردًا إلى الله، لا تشوبه ذرة شرك، ولا تحيط به شبهة رياء.

قال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٥﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]

وقال ﷺ: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وابتغى به وجهه" (١)

الثالث: المتابعة:

أن تكون الأقوال والأعمال موافقة لما جاء به النبي ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان.

قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣]

(١) رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تُسَوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ



وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو ردٌّ " (١)، أي باطلٌ مردودٌ على صاحبه.

وحول الشرطين معاً، سئل الفضيل بن عياض، عن قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] فَقَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، ثم قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ. (٢)

○ علامات القبول:

- ١- أن يجد العبد قلبه إلى الله أقرب.
 - ٢- أن يجد العبد نفسه محباً للطاعة، مقبلاً مداوماً عليها.
 - ٣- أن يجد العبد نفسه قد ابتعد عن المعاصي، وأنفَ منها:
- قال يحيى بن معاذ: " ليس بعارفٍ من لم يكن غايةً أمله من الله العفو، من استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع إلى المعصية بعد الشهر ويعود، فصومته عليه مردود، وبابٌ

(١) رواه مسلم.

(٢) حلية الأولياء.



القبول في وجهه مسدود" (١)

٤- الشعور بالمنة، والشعور بالخوف:

أما الشعور بالمنة: فكل خيرٍ وفضلٍ وبرٍّ قمتَ به، إنما هو محض فضل الله، ذلك وأعانك، ووفقك، ولو شاء لمنعك.

وأما الشعور بالخوف: فهو دأب المؤمن، فعن عائشة، قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَاتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴿المؤمنون: ٦٠﴾ أَهْوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: "لَا، يَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ" (٢)

قال علي بن أبي طالب: كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمِعوا الله - عز وجل - يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] (٣)

لذلك قال بعض السلف: الخوف على العمل ألا يتقبل أشد من العمل، وقال عبد العزيز بن أبي رواد: "أدركتهم يجتهدون في العمل

(١) وظائف رمضان: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه.

(٣) الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٣٥

الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا" (١)
 هذا هو فقه السلف وفهمهم، فكم من مغرورٍ بعمله وليس له منه
 شيء، كم من معجبٍ بصلاته وليس له فيها حسنة!!

٥- صيام الست من شوال: (٢)

فقد قال ﷺ: "من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال؛ كان
 كصيام الدهر" (٣)

٦- أن يوفقك الله تعالى للدعاء بالقبول:

كما حكى ربنا سبحانه عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام،
 وهما يرفعان قواعد البيت: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ
 رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

قرأ وهيب بن الورد هذه الآية، وقال: "يا خليل الرحمن، ترفع
 بيت الرحمن، وأنت مشفق أن لا يُتقبل منك" (٤)

(١) محاسبة النفس، لابن أبي الدنيا.

(٢) ذكر هذه العلامة: ابن رجب، في لطائف المعارف.

(٣) رواه مسلم.

(٤) تفسير ابن كثير.



٧- المداومة على الطاعة:

إذا داومت على العمل، أو على شيءٍ منه، فاعلم أن الله قد قبلك. (١)



(١) وسيأتي الكلام عن المداومة، مفصلاً، عن قريب.

العِيدُ آدَابُ وَأَحْكَامُ

إن يوم العيد جعله الله تعالى بهجةً للمسلمين، وفرحةً لهم، فيه يتقابلون ويتزاورون ويتواصلون ويفرحون.

وقد شرع لنا النبي ﷺ في هذا اليوم العظيم أحكاماً، وسن لنا سنناً وآداباً.

١- تجديد النية:

وذلك بناء على أنه ينبغي إحسان النية يوم العيد، فينوي بخروجه للصلاة الاقتداء بالنبي ﷺ، وكذلك ينوي في لباسه الجديد الاقتداء بأمره ﷺ وإظهار الفرحة بالعيد الذي شرعه الله تعالى للمسلمين، وينوي بزيارته لأقاربه صلة الرحم، وإدخال البهجة عليهم، وهكذا.

٢- الاغتسال والتطيب يوم العيد:

حتى يكون المسلم وسط جموع المسلمين نظيفاً طيب الرائحة، فلا يتأذى منه أحد من المصلين، فكما أن المسلم يغتسل يوم الجمعة لتكون رائحته طيبة، كذلك يغتسل للعيد، سأل رجل علياً رضي الله عنه عن الغسل، فقال: اغتسل كل يوم إن شئت، فقال: لا الغسل الذي هو



الغسل، قال: يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم الفطر. (١)

٣- لبس الثياب الجديدة يوم العيد:

يُسَنُّ للمرأة إذا كان مستطيعاً يلبس ثياباً جديدة، ففيها إظهار
لنعمة الله تعالى على عبده، وفيها إظهارٌ للفرح بالعيد، والله جميل
يحب الجمال.

وقد اشترى عمر جبةً من إستبرق للنبي ﷺ حتى يتجمل بها في
العيدين، ورفضها ﷺ لكونها من حرير، وإن كان قد أقره على أصل
التجمل (٢)

وكان ابن عمر: يلبس أحسن ثيابه في العيدين.

روى الطبراني في الأوسط بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:
"كان رسول الله ﷺ يلبس يوم العيد بردة حمراء"

٤- أكل تمرات قبل الخروج من البيت يوم الفطر، وعدم الأكل
يوم النحر قبل الذبح:

وهو المأثور عن النبي ﷺ، فإنه عليه الصلاة والسلام: "كان لا

(١) - صحيح: رواه أبي شيبة، والبيهقي بسند صحيح.

(٢) - متفق عليه.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٣٩

يغدوا يوم الفطر حتى يأكل تمرات " (١)، وأيضا فإنه ﷺ: " كان لا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع فيأكل من أضحيته " (٢)
٥- التبكير إلى العيد:

فإن ذلك من السنة، فقد قال ﷺ: " إن أول ما نبدأ به يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع لننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك فإنما هو لحم قدّمه لأهله، وليس من النسك في شيء " (٣)، وقد بوب البخاري لهذا الحديث في صحيحه فقال: "باب التبكير إلى العيد"، قال ابن حجر في الفتح: " وهو دال على أنه لا ينبغي الاشتغال في يوم العيد بشيء غير التأهب للصلاة والخروج إليها، ومن لازمه ألا يفعل قبلها شيء غيرها، فاقضى ذلك التبكير إليها. " (٤)
٦- إخراج النساء للمصلى:

حتى من كانت حائضا، يشهدن الخير، ويجدن بهجة العيد، ويشاركن الناس فرحتهم، غير أن الحِيض يعتزلن الصلاة، فإن النبي ﷺ: " أمر بإخراج العواتق وذوات الخدور والحِيض، وأما الحِيض

(١) - رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) - رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٣) - البخاري، ومسلم

(٤) - فتح الباري.



فيشهدن الخير، ودعوة المؤمنين، ويعتزلن المصلي"، وجاء في رواية مسلم "فيعتزلن الصلاة..."

وهذا الحديث عمدة لكثير من الفقهاء في أن صلاة العيد واجبة على النساء والرجال.

٧- إخراج الصبيان للصلاة كذلك:

وذلك حتى يشعروا بهجة العيد، ويفرحوا به إذا لبسوا الجديد وخرجوا إلى المصلي فشهدوا جمع المسلمين، حتى من كان منهم لا يصلي لصغره، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "خرجت مع النبي ﷺ يوم فطر أو أضحي، فصلى، ثم خطب، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن، وأمرهن بالصدقة" ^(١)، ففيه دليل على خروج الصغار إلى مصلي العيد، والنبي ﷺ: "كان يأمر بناته ونسائه أن يخرجن في العيدين" ^(٢)

٨- الخروج للصلاة ماشياً:

فإن هذا من السنة، والنبي ﷺ: "كان يخرج إلى العيدين ماشياً، ويصلي بغير أذان ولا إقامة، ثم يرجع ماشياً في طريق آخر، وهذا مستحب ما لم يتعذر على المصلي المشي بسبب بُعد المصلي جداً،

(١) - البخاري، ومسلم.

(٢) - أحمد وابن أبي شيبة كما في صحيح الجامع.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٤١

أو شدة الحر أو شدة البرد، أو وحل أو مطر، أو نحو ذلك.
ففي ذلك كثرة اللقاء بالناس ومظنة التواد والتعارف ونحو ذلك،
وفيه مضاعفة لآثار العبد، فإن الأرض تشهد لمن مشى عليها.

٩- التهليل والتكبير بصوت مرتفع حتى المصلى:

أي من حين خروج المرء من بيته وحتى بلوغه المصلى، فإن في
هذا إظهاراً لشعائر الاسلام، وإشعاراً للناس بأن اليوم يومٌ مختلفٌ
عما قبله وعما بعده، فإنه ﷺ " كان يكبر يوم الفطر من حين يخرج
من بيته حتى يأتي المصلى " (١)

وكذلك فإنه ﷺ: " كان يخرج في العيدين رافعاً صوته بالتهليل
والتكبير " (٢)

واعلم أن النبي ﷺ: " كان لا يصلي قبل العيد شيئاً، فإذا رجع
إلى منزله صلى ركعتين " (٣)، فمن السنة إذا وصل إلى المصلى أن
يجلس ولا يصلي، بل ينشغل بالذكر والتهليل والتكبير.
واعلم أنهم ما كانوا يؤذنون للعيد ولا يقيمون، ولكن يقومون

-
- (١) - الحاكم والبيهقي في الكبرى عن ابن عمر. صحيح الجامع.
(٢) - البيهقي عن ابن عمر. صحيح الجامع.
(٣) - ابن ماجة. صحيح الجامع.



للصلاة إذا قام الإمام أو رأوه، عن جابر رضي الله عنه: " أن لا أذان للصلاة يوم الفطر حين يخرج الإمام ولا بعد ما يخرج ولا إقامه ولا نداء ولا شيء " (١)

" وكان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر مقابل الناس - والناس جلوس على صفوفهم - فيعظهم، ويوصيهم، ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه، (٢) أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف " (٣)

وكان يخص النساء بموعظة، كما في حديث جابر: " أن النبي ﷺ قام فبدأ بالصلاة، ثم خطب الناس بعد، فلما فرغ نبي الله ﷺ نزل فأتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال، وبلال باسط ثوبه يُلقي فيه النساء صدقة " قال ابن جريج: " قلت لعطاء: أترى حقاً على الإمام الآن أن يأتي النساء فيذكرهن حين يفرغ؟ قال: إن ذلك لحق عليهم، وما لهم ألا يفعلوا؟ " (٤)

وقد دل على ذلك أحاديث أخرى غير ما ذكر، فينبغي لخطباء العيدين أن يتبهاوا لمثل هذا الأمر، وألا يستحوا من تطبيق هذه

(١) - رواه مسلم.

(٢) أي يفرد جماعة يبعثهم إلى الغزو.

(٣) - متفق عليه.

(٤) - البخاري، ومسلم.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٤٣

السنة، وفي الحديث الحث على الصدقة خاصة في هذا اليوم العظيم.

١٠- عدم ذبح الأضحية إلا بعد صلاة العيد:

وذلك في عيد الأضحى، فقد قال ﷺ: " إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع لتنحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك، فإنما هو لحم قدمه لأهله، وليس من النسك في شيء" (١)

فدل الحديث دلالة واضحة على أن السنة عدم ذبح الأضاحي إلا بعد الفراغ من صلاة العيد.

١١- مصافحة المصلين وسائر المسلمين وتبادلهم التهاني فيما بينهم:

وذلك مما يدخل البهجة على النفوس، ويُشعرها بفرحة العيد، ولعموم الأحاديث التي فيها ترغيب في المصافحة والتحاب والتواد، وليس هناك صيغة معيّنة للتهنئة ثابتة يجب المصير إليها، لكن يدعو لإخوانه ويسلم عليهم ويهنئهم، ويمكن أن يقول لإخوانه: " تقبل الله منا ومنكم" (٢)

(١) - سبق تخريجه.

(٢) - الحاوي للفتاوي، وساق روايات كثيرة عن الصحابة والتابعين في ذلك.



قال الحافظ في الفتح: وروينا في "المَحَامِلِيَّاتِ" بِإِسْنَادِ حَسَنِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ، قَالَ: "كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا اتَّقَوْا يَوْمَ الْعِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ" (١).

١٢ - صلة الأرحام:

وهي واجبة في كل وقت، وتتأكد في مثل هذا اليوم، حتى يُدْخَلَ المؤمن السرور على أقاربه، ويشعرهم بهجة العيد.

وقد قال رسول الله ﷺ: "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله" (٢).

وفي الصحيحين قال رجل: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي؟ فقال: "لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك"

وفي صحيح البخاري قال ﷺ: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها".

(١) - شرح صحيح البخاري: كتاب الجمعة باب سنة العيدين لأهل الإسلام.

(٢) - رواه مسلم.

١٣ - الحذر من الغفلة عن الله في هذا اليوم العظيم:

لأن كثيراً من الناس يركبون المعاصي أيام العيد، بزعم الترويح عن النفس والترفيه، فتتبرج النساء، ويتخنث الشباب، وتضيع الأوقات في ارتياد دور السينما، ومشاهدة الأفلام، واستماع الأغاني، ونحو ذلك مما يغضب الله تعالى.

بل إن وسائل الإعلام في أكثر بلاد المسلمين قد جعلت من يوم العيد يوم فجور ومجون، فصارت مشحونة بالأفلام الهابطة، والمسلسلات الخليعة، والأغاني التي تثير الغرائز، وصور النساء المتبرجات، والإعلانات المشحونة بصور الساقطات، والإعلان عن دور السينما وما يقدم فيها، ولا تكاد تتوقف عن كل صور الإفساد طوال أيام العيد!

فكم من حرمت تُنتهك ! وكم من معاص تُرتكب ! وكم من سيئات يجهر بها ! كل ذلك لأنه يوم عيد، بدلاً من أن يكون يوم بر وخير، وصلة، وإدخال سرور على قلوب الفقراء والمحتاجين، وإظهار لمدى التزام المسلم بدينه حتى في يوم العيد والفرح، فينبغي لكل مسلم عاقل أن يحذر من هذه الأمور، وأن يحذر معصية الله تعالى في العيد.



مضى رمضان وانقضى ولو نطق لقال :

○ مضى رمضان وانقضى ولو نطق لقال :

"ابن آدم! انقضى عام من عمرك، ويوشك عمرك كله أن ينقضي، فأنت لا تدري هل تعيش حتى يأتي عليك رمضان آخر أم لا" فيا سعادة من وُفق إلى اغتنام الأوقات واللحظات فيما يُرضى عنه رب الأرض والسموات.

مضى رمضان وانقضى معلناً هذه الحقيقة التي غفلنا عنها أو تغافلناها، نسيناها أو تناسيناها، ألا وهي أن كل حبيب لابد أن يفارق حبيبه، وكل صديق لابد أن يفارق صديقه، الحقيقة التي تغافل عنها الغافلون، وشُغل عن الاتعاظ بها معظم الخلق إلا من رحم الله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ [الرحمن : ٢٦]، فكل من على هذه الحياة منصرفٌ عنها مفارق لها عاجلاً أو آجلاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ ۝ وَالشَّهَادَةُ فَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّفُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٤٧

وقال عليه الصلاة والسلام: " اغتتم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك " (١)

○ مضى رمضان وانقضى ولو نطق لقال:

" يا من أحسست بلذة الصيام وحلاوته ليس الصيام خاصا
برمضان "

ففي الحديث، أن النبي ﷺ قال: " من صام يوما في سبيل الله،
جعل الله بينه وبين النار خندقا، كما بين السماء والأرض " (٢)
وقال ﷺ: " من صام يوما في سبيل الله، باعد الله وجهه من جهنم
سبعين عاما " (٣)

ومن الأيام التي يستحب صيامها: الستة من شوال، ويوم عرفة
وعاشوراء وتاسوعاء والأيام البيض، والاثنين والخميس، والصيام
في شهر الله المحرم، وفي شعبان، وصيام التسع الأول من ذي الحجة.

(١) - رواه الحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) - رواه الترمذي وصححه الألباني

(٣) - رواه النسائي وصححه الألباني.



○ مضى رمضان وانقضى ولو نطق لقال:

"يا من شعرتم بلذة القيام وحلاوته، ليس القيام خاصاً بـرمضان"

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال عليه الصلاة والسلام: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبي نضحت في وجهه الماء" (١)

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، انجفل الناس إليه (٢)، وقيل: قدم رسول الله، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء تكلم به أن قال: "يا أيها الناس! أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" (٣)

○ مضى رمضان وانقضى ولو نطق لقال:

"يا من شعرت بلذة القرآن وحلاوته في رمضان ! ليس القرآن

(١) - رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) - ذهبوا مسرعين.

(٣) - رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٤٩

خاصاً برمضان

ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران "

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: " من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الـ﴾ حرف ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف " (١)

وقال ﷺ: يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حلّه فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلّة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، وتُراد بكل آية حسنة " (٢)

○ مضى رمضان وانقضى ولو نطق لقال:

"يا من ذقت لذة الذكر في رمضان، ليس الذكر خاصاً برمضان"

بل قال الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ ﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ وَادْكُرُوا

(١) - صحيح سنن الترمذي.

(٢) - صحيح الجامع.



اللَّهُ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال ﷺ: " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم أو يضربوا أعناقكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله تعالى " (١)

فقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله " (٢)

وقال ﷺ: " ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيراً، والمظلوم والإمام المقسط " (٣)

○ مضي رمضان وانقضى ولو نطق لقال:

" يا من أحس بلذة الجماعة، وحلاوة الخطى إلى المساجد في رمضان ليس ذلك خاصاً بـرمضان "

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة - قال: أحسبه قال في المنام - فقال: يا

(١) - رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني.

(٢) - رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) - رواه البيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

محمد، هل تدري فيم يختصم الملائ الأعلًى؟ قال: قلت لا، فوضع يده بين كتفي، حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال في نحري - فعلمتُ ما في السماوات وما في الأرض، قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائ الأعلًى؟ قلت: نعم، في الكفارات، والكفارات: المكث في المسجد بعد الصلاة، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره" (١)

وفي الصحيحين قال ﷺ: "من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح" وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يتوضأ أحدكم فيحسن الوضوء ويسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة إلا تبشّش الله إليه كما يتبشّش أهل الغائب بطلعته" (٢).

○ مضى رمضان وانقضى ولو نطق لقال:

"يا من يقلعون عن الذنوب والمعاصي والآثام في رمضان ثم تعودون إليها بعده، إن رب رمضان هو رب سائر العام"

فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد ولى، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

(١) - صحيح الترمذي.

(٢) - رواه ابن خزيمة في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.



هل تعلم أن المعاصي سبب سواد القلب وظلمته وقسوته، وقد تؤدي إلى موته ونهايته، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

هل تعلم أن المعاصي سبب تعسير الأمور، ومحقق البركة وضيق الرزق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤] ؟

هل تعلم أن المعاصي سبب نزول البلايا والمصائب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فلا ينزل البلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، وإذا كثر المذنبون نزل البلاء العام، الذي لا يرفعه إلا العود العام إلى شريعة الله.

سئل عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنهلك وفيينا الصالحون ؟ قال: " نعم إذا كثرت الخيبت " (١)

○ مضي رمضان وانقضى ولو نطق لقال:

" أين أنت يا أمة الله من الحجاب ؟ "

هل شعرت بلذة الحجاب وحلاوته في رمضان؟

هل شعرت بلذة الستر والعفاف؟

هل شعرت بلذة الطاعة وانسراح الصدر بها؟

هل شعرت بلذة الاحتشام والأمن من المعاكسات؟

لا تفرطي في هذه النعمة بعد رمضان.

وإياك أن تكوني من هؤلاء الذين قال فيهم رسولنا ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما:..... ونساءٌ كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" (١)

○ مضى رمضان وانقضى، ولو نطق لقال:

"ليس العيد لمن لبس الحديد ولكن العيد لمن طاعته تزيد"

العيد هو موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته وحازوا ثواب أعمالهم، بثقتهم بوعده لهم عليها بمغفرته وفضله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَيَذَلِّكَ فَيَقْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس]

[٥٨]

(١) - رواه مسلم.



○ مضى رمضان وانقضى ولو نطق لقال:

" يا أمة الاسلام ! فلتفرحوا بالعيد ولتوسعوا على أولادكم ولتدخلوا البهجة عليهم ولكن لا تَنَسُوا آلام أمتكم..."

وأبشروا فإن الليل مهما طال، فلا بد من طلوع الفجر والصبر كلما طال عظم الأجر. أبشروا فإن الله تعالى وعد هذه الأمة بالنصر والتمكين إن حققوا الإيمان وعادوا إلى الرحمن، كما قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

فما علينا إلا أن نعود لديننا، ونرجع إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا، نهمل من مَعِينِهِمَا ونتفياً ظلالهما وننقاد لأحكامهما ففيهما النجاة والسعادة.



المداممة على العمل الصالح

لماذا وكيف؟

○ واقعٌ أليم:

إنَّ واقعاً أليماً نعيشه بلا هوادة، ملخص هذا الواقع: أننا لو أجرينا إحصاءً لمرّات البدء في أعمال البر المختلفة، ثم أحصينا كم من الأعمال بلغت النهاية؟ أو حتى قاربت بلوغها، ستصينا صدمة كبيرة، إذ أننا سنجد معظمها لم يبلغ خط المنتصف، وغالبية الأعمال تنتهي فور بدايتها!!

فما أن يرحل شهر رمضان، إلا وتجد ظاهرة عجيبة، وهي التوقف عن القيام بالأعمال الصالحة، فتخلو المساجد من المصلين، إلا من كان يعمرها قبل رمضان، وتُغلق المصاحف، إلا من كان يتعاهدها قبل رمضان، ويُعرض أكثر الناس عن الصدق والصدقة والبر والصلة وحسن الأخلاق، إلا من كان ذا رِعاية قبل رمضان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



○ مقصود الشارع:

إن مقصود الشارع من الأعمال، ليس مجرد القيام بها، ولكن دوام المكلف عليها، والأدلة على ذلك كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، أي الموت، فليس المراد مجرد القيام بالعبودية، ولكن المداومة عليها حتى الموت.

وقال تعالى - عن عيسى عليه السلام -: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ﴿٢١﴾ [مريم: ١٣]

وقال تعالى - وهو يصف عباده المؤمنين -: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلُقٌ هَلُوعًا﴾ ﴿١١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿١٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿١٥﴾ [المعارج: ٩١-٣٢]، وفي نفس السورة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [المعارج: ٤٣]

وقال تعالى - وهو يصور هذه الصورة المقيمة، صورة انقطاع الأعمال -: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ ﴿٣٢﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣١﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَم لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَابْرَهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَتَهُ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ [النجم: ٣٣-]

ففي هذه الآيات يُلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى أولئك الذين تنقطع بهم أعمالهم الصالحات، ويتولون عن العطاء والبذل والتضحية، وهم لم يُعطوا حقاً لربهم إلا قليلاً، فصورتهم كصورة باحثٍ عن ماءٍ لِيُطَهِّرَ نفسه ويرتوي، فجعل يحفر بئراً، فبينما هو يحفر، إذ كُذِيَّة [صخرة] تواجهه، فيتوقف عن الحفر والعمل والبحث عما يُسعده، فلا هو انتفع بما حفر سابقاً، ولا هو انتفع بماءٍ وَجَدَهُ.

كما يُلفت القرآن أنظارنا، أن هذا الشخص المنقطع عن العمل، لم يَعْلَمْ الغيب حتى يرى هل له عُمْرٌ آخر يستطيع أن يتدارك فيه ما قَصَّرَ!

كما لفت القرآن أنظارنا إلى أن العبد لا ينفعه سوى سعيه الدائم وعمله المستمر، وعلى قدر الديمومة يكون حسن الجزاء عند الله. وسئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أي العمل كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: "الدائم" (١)

وسئلت: هل كان رسول الله ﷺ يَخْصُ شيئاً من الأيام؟ قالت:

(١) رواه البخاري.



لا، كان عمله ديمة. (١)

وكان عليه السلام يقول: "أحب العمل إلى الله أدومه، وإن قلَّ" (٢)

○ التطبيق العملي في جيل الصحابة:

وعى الصحابة الكرام هذا المقصود وعياً سليماً، فكان الواحد منهم لا ينقطع عن عمل أبداً حتى يكمله، وكانوا يعملون بالسنة ويتشبثون بها حتى يلقون ربهم مستمسكين بها.

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّهَا كَانَتْ تُصَلِّي الضُّحَى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ، ثُمَّ تَقُولُ: لَوْ نُشِرَ لِي أَبَوَايَ مَا تَرَكْتُهَا. (٣)

- وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: " أَتَانَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ، حَتَّى وَضَعَ قَدَمَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ فَاطِمَةَ، فَعَلَّمَنَا مَا نَقُولُ إِذَا أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا: ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً " قَالَ عَلِيٌّ: " فَمَا تَرَكْتُهَا بَعْدُ " فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: " وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ " (٤)

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

(٣) رواه مالك في الموطأ، وصححه الألباني في المشكاة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، وقال محققه: سنده صحيح على شرط الشيخين.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٥٩

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبَلَالٍ، عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: " يَا بَلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ " قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ " (١)

المدّاومة على الطاعات، لماذا ؟

١- لأنه لا نهاية للعمل إلا بنهاية الأجل:

قال الْحَسَنُ: "أَيُّ قَوْمٍ، الْمُدَاوِمَةُ الْمُدَاوِمَةُ؟ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ أَجَلًا دُونَ الْمَوْتِ"
وقال: "إِذَا نَظَرَ إِلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَرَأَكَ مُدَاوِمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَبَغَاكَ وَبَغَاكَ، فَرَأَكَ مُدَاوِمًا مَلَكٌ وَرَفَضَكَ، وَإِذَا كُنْتَ مَرَّةً هَكَذَا وَمَرَّةً هَكَذَا طَمِعَ فِيكَ " (٢)

وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: "لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد" (٣)

(١) متفق عليه.

(٢) الزهد والرفائق لابن المبارك، والزهد لنعيم بن حماد.

(٣) طرح الشريب في شرح التقريب.



٢- المداومة على العمل الصالح من أعظم أسباب نيل محبة الله: وهي غاية أمانى المؤمنين، الذين هم أشدُّ حبًّا لله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" (١)

٣- المداومة على العمل الصالح من أعظم أسباب حسن الخاتمة:

فلا يزال المؤمن يجاهد نفسه على أداء الطاعات، كما يصبر عن المعاصي والسيئات، حتى يختم الله تعالى له خاتمةً حسنة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٩٦]

(١) رواه البخاري.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٦١

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعْبَجُوا بِأَحَدٍ، حَتَّى تَنْظُرُوا بِمِ يَخْتُمُ لَهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمْرِهِ، أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ؟ قَالَ " يُؤَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " (١)

وفي رواية: "إذا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا طَهَّرَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، قَالُوا: وَمَا طَهُّورُ الْعَبْدِ؟ قَالَ: عَمَلٌ صَالِحٌ يُلْهِمُهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ عَلَيْهِ " (٢)

وفي رواية: " إذا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ عَسَلَهُ قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: يَفْتَحُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " (٣)

٤- المداومة على الطاعة سبب النجاة يوم القيامة، والاستغلال بظل عرش الرحمن جل جلاله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ

(١) أخرجه أحمد في المسند، وقال محققه: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) انظر صحيح الجامع.

(٣) انظر صحيح الجامع.

لَا ظِلٌّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَسَاءٍ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ" (١)

ووجه ذلك: أن عدلَ الإمام، ونشوءَ الشاب في طاعة الله، وتعلق القلب بالمساجد، وتحابُّ الرجلين في الله، لا بد في ذلك كله من الاستمرار والديمومة، حتى يتم الفوز بهذا الفضل العظيم.

٥- المداومة على العمل الصالح عنوان الإخلاص:

لأن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

٦- المداومة على الطاعات سبب الأمن من الحسرة عند المرض أو العجز أو الفتنة:

ذلك لأن المداوم حين يُحال بينه وبين العمل، يجري له ما كان يقوم به من العمل.

عن أَبِي بُرْدَةَ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى مِرَارًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) متفق عليه.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوِّقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٦٣

"إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا" (١)

○ كيف نثبت على الطاعات، ونداوم عليها؟

١- استعن بالله:

فإن من أعانه الله فهو المعان، فاطلب العون من الله تعالى أن يسددك ويوفقك ويؤيدك ويعينك على العمل الصالح، فقد قال النبي ﷺ لمعاذ: " يا معاذ، لا تدع أن تقول دبر كل صلاة: " اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" (٢)

٢- الدعاء:

من أعظم أسباب الثبات على الطاعة، فلقد كان أكثر دعاء النبي ﷺ: " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" (٣)

٣- الاهتمام بصلاح القلب:

فالقلب هو الملك، والجوارح جنوده ورعاياه، فإذا صلح الملك صلحت الجنود والرعايا، كما في الصحيحين من حديث النعمان بن

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

(٣) صحيح سنن الترمذي.



بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

وإصلاح القلب يتم بشيئين:

الأول: عمارته بالأعمال الطيبة، كالشكر والخوف والإخلاص، ومحبة الله تعالى، ونحو ذلك.

الثاني: تنقيته من الأخلاق الرديئة، والخصال السيئة، كالرياء والحسد والغرور، والتعلق بغير الله، ونحو ذلك.

فإذا ثبت القلب على الطاعة، ثبتت الجوارح تبعاً له.

٤- الصحبة الصالحة:

لأن الإنسان ينشط إذا رأى إخوانه من حوله على قربة وطاعة، ويشعر بالخجل إذا رأى نفسه مقصراً بين قوم مُجِدِّين، فالعاقل يصحب الأخيار من أهل الفضل والعلم والصلاح، الذين إذا رآهم ذكر الله، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ" (١).

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

قُطُوفُ إِيْمَانِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تَسُوقُكَ إِلَى اللَّهِ

٢٦٥

وقال عليه السلام: "المرء على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخالل" (١)

٥- التخلص من المعاصي:

فالمعاصي تقيّد صاحبها عن الطاعة، وتحجبه عن البر.

قال ابن القيم رحمته الله: "فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلذَّنْبِ عُقُوبَةٌ إِلَّا أَنْ يَصُدَّ عَنْ طَاعَةٍ تَكُونُ بِدَلِّهِ، وَيَقْطَعَ طَرِيقَ طَاعَةٍ أُخْرَى، فَيَنْقَطِعَ عَلَيْهِ بِالذَّنْبِ طَرِيقُ ثَالِثَةٍ، ثُمَّ رَابِعَةٍ، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَيَنْقَطِعَ عَلَيْهِ بِالذَّنْبِ طَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَهَذَا كَرَجُلٍ أَكَلَ أَكْلَةً أَوْجَبَتْ لَهُ مَرَضَةً طَوِيلَةً مَنَعَتْهُ مِنْ عِدَّةٍ أَكَلَاتِ أَطِيبَ مِنْهَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ" (٢)

٦- التوسط والاعتدال في الأعمال، وترك الإفراط والتشديد على

النفس:

فقليلٌ دائمٌ خيرٌ من كثيرٍ منقطع، وهو معنى قوله عليه السلام: "عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تملوا" (٣)

٧- تعويد النفس على قضاء الفاتت، من صلاة أو صيام، أو ورد

(١) صحيح سنن أبي داود.

(٢) الجواب الكافي.

(٣) رواه مسلم.



ذكر، أو ورد قراءة، أو حتى صلة وتزاور، أو غير ذلك، وعدم التفريط في ذلك:

فقد قال ﷺ: "مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ" (١)
 "وكان ﷺ إذا فاتته شيء من الليل، لنوم أو مرض، صلّاه من النهار اثنتي عشرة ركعة" (٢)

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

فهرس الموضوعات

٧	مُتَلَبَّةٌ.....
٩	ولو أرادوا رمضان لأعدُّوا له عدة.....
٢٠	لعله آخر رمضان.....
٣٣	يا رياح التوبة هبِّي.....
٥٢	جوائز وفضائل وثمرات.....
٥٩	مفاتيح القبول في رمضان.....
٦٦	كيف تقضي يومك في رمضان ؟.....
٧٥	فقهٌ واجب.....
١٠٥	المعينات على عمل الصالحات.....
١١٤	حتى يكون أجمل رمضان.....
١٢٤	لصوص الصيام.....
١٣٦	حال السلف في رمضان.....
١٤٦	لا للتهاون بالصيام.....
١٥٥	رمضان مدرسة الأخلاق.....
١٦٣	أبناءؤنا في رمضان.....



أبواب مَفْتَحَة.....	١٦٩
الاعتكاف سنة نبوية ومدرسة تربوية.....	١٧٩
الاعتكاف آداب وأحكام.....	١٨٩
كيف ندرك ليلة القدر؟.....	١٩٨
طهرة للصائمين وطعمة للمساكين.....	٢٠٩
وداعاً رمضان.....	٢٢٥
كيف أعرف أنني من المقبولين في رمضان أم لا؟.....	٢٣٠
العيد آداب وأحكام.....	٢٣٧
مضى رمضان وانقضى ولو نطق لقال:.....	٢٤٦
المداومة على العمل الصالح.....	٢٥٥
فهرس الموضوعات.....	٢٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لخدمات الطباعة

بإشراف مكتب اللؤلؤة لخدمات الطباعة

01007868983 - 01033336232

أعمال المؤلف

□ كتب مطبوعة:

- ١ - ٣٠ خطوة في طريق السعادة.
- ٢ - تدبر سورة يوسف.
- ٣ - تدبر سورة البقرة، دار اللؤلؤة.
- ٤ - الدليل المختصر الرصين على منهج السالكين.
- ٥ - إنه الله معرفة ملزمة، وعبودية محتمة (دراسة تربوية لأسماء الله الحسنى) ٢ مجلد، دار اللؤلؤة.
- ٦ - التربية بالمجاهدة.
- ٧ - إتحاف المستمتع بتهذيب الشرح الممتع ٢ مجلد، دار اللؤلؤة.
- ٨ - التوضيحات السديدة على ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة، ١ مجلد، دار اللؤلؤة.
- ٩ - المشوق إلى أذكار الصباح والمساء. دار اللؤلؤة.
- ١٠ - شرح صحيح القصص النبوي، للعلامة أبي إسحاق الحويني، ١ مجلد، دار اللؤلؤة.



١٢- عبودية القلب.

الستون حديثاً النبوية في الأعمال القلبية، ٢ مجلد، دار اللؤلؤة

١٣- إسعاف الجريح والجريحة بمعاني الأذكار الثابتة في السنة

الصحيحة، دار اللؤلؤة

١٤- الصوم حياة (قطوف إيمانية عملية تسوقك إلى الله)

□ كتب تحت الطبع

- ١ - سلوكيات مرفوضة (١٠٠ سلوك مرفوض) ٢ مجلد.
- ٢ - زبدة الكلام على عمدة الأحكام ٢ مجلد.
- ٣ - تدبر سورة آل عمران
- ٤ - فقه السنة الميسر (المسائل الفقهية مقرونة بأدلتها الشرعية).
- ٥ - فصول في الفكر والمنهج.
- ٦ - فقه الإسلام
- شرح التمام في أحاديث الأحكام، كتاب يجمع أحاديث (بلوغ المرام، وعمدة الأحكام، والمحرر).
- ٧ - إصلاح النفوس بذكر ما في سورة النور من المفاهيم والدروس.
- ٨ - تدبر جزء عم.
- ٩ - تدبر جزء تبارك.
- ١٠ - تدبر جزء قد سمع.
- ١١ - المثوية في العملية التربوية (الأحاديث المائة في الأخلاق والتربية).
- ١٢ - أدلة وإضاءات على متن الورقات (منشور على شبكة



الألوكة).

١٣ - شرح أسماء الله الحسنى للطلائع.

١٤ - الله ينادي (إطالة تربوية على سائر نداءات الله تعالى في كتابه)

١٥ - المستفاد من زاد المعاد.

١٦ - أسماء الله الحسنى المفردة والمقترنة في القرآن الكريم، حصر الآيات، وأسرار خواتيمها، وبيان معانيها .

١٧ - المشوق إلى العمل الصالح.